فلسفة التواصل عند أنتوني سيمون لادن

The Communication Philosophy of Anthony Simon Laden

إعداد

د. هبة البدوي محمد حماية

أستاذ الفلسفة السياسية المساعد بقسم الفلسفة

كلية الآداب، جامعة بني سويف.

heba.elpadwy@gmail.com

مُلخص:

يعد أنتوني سيمون لادن من أبرز المفكرين السياسيين الأمريكيين المعاصرين، يدور هذا البحث حول إشكالية رئيسة هي: ما الذي يقصده لادن بفلسفة التواصل؟ وما الدلالات الواقعية التي تعبر عنها؟ ولمعالجة هذه الإشكالية يتم طرح عدة تساؤلات أهمها: إلى أي مدى يكون هناك ارتباطًا بين التفكير والتواصل الاجتماعي؟ كيف تكون المحادثة العادية وسيلة لتدعيم أواصر التواصل؟ ما الذي دفع لادن للدعوة إلى تحويل المفاوضات السياسية إلى مداولات سياسية وما صلة ذلك بفلسفة التواصل؟.

الكلمات المفتاحية:

التفكير، التواصل الاجتماعي، المحادثة العادية، المداولات السياسية.

Abstract

Anthony Simon Laden is considered one of the most prominent contemporary American political thinkers. This research revolves around a major problem: What does Laden mean by the philosophy of communication? And what are the realistic implications that it expresses? To address this problem, several questions are raised, the most important of which are: To what extent is there a connection between thinking and social communication? How is regular conversation a means of strengthening communication? What prompted Laden to call for transforming political negotiations into political deliberations, and what is this related to the philosophy of communication?.

Key words:

Thinking, social communication, informal conversation, political deliberations.

مقدمة

التواصل كلمة واحدة ولكنها تحوي بداخلها معاني كثيرة ومتعددة؛ يمكن أن نطلق على هذه الكلمة التي تبدو بسيطة أنها سر الحياة، كيف يكون ذلك؟ إن التواصل هو الأساس الذي تقوم عليه كل العلاقات وتبنى عليه الحيوات؛ من خلال التواصل يتم تأسيس العلاقات ويتم بناء الحيوات المشتركة، ومن خلال التواصل أيضًا تنهار علاقات وتنهدم حيوات، فما السر في هذه الكلمة؟ كيف يمكن أن يكون للتواصل كل هذه الأهمية؟ التواصل يعبر عن اللغة التي يتفاهم بها كلٌ منا مع الآخر، كيف نتفاعل معًا، كيف نتفاهم معًا، كيف يمكن لكل منا أن يوصل أفكاره ومشاعره ورغباته إلى الآخر، وهل هذه الأفكار والمشاعر والمعاني تصل للآخر بشكل صحيح أم أنها لا تصل إليه بالشكل المرجو منه؟ ماذا يمكن أن ينتج عن سوء التفاهم بين البشر، وما أثره على حياتهم، وما دور السياسة في ذلك؟.

وهنا يأتي **أنتوني سيمون لادن (Anthony Simon Laden) (1967 – ؟)** الذي يعد من أبرز المفكرين السياسيين الأمريكيين المعاصرين ليؤكد لنا أن التواصل يعبر عن التفاهم والتفاعل والتعايش بين البشر؛ من خلال التواصل يفهم كلٌ منا الآخر، ويتفاعل كلٌ منا مع الآخر، ويمكن أن يتعايش معه، وفي حالة غياب هذا التواصل لا يمكن أن نتفاهم، ولا يمكن أن نتعايش، ولا يمكن أن نحيا معًا، ونبني معًا حياة مشتركة، من خلال التواصل فقط يمكن أن نبني حياتنا ونرسم مستقبلنا ونخطط لأيامنا القادمة فهل لهذا التواصل قواعد محددة بعينها؟ هل لهذا التواصل آليات يمكن أن نلتزم بها حتى يحقق النتيجة المرجوة منه أم أنه لا يحتاج إلى قواعد أو استراتيجيات أو آليات ثابتة وإنما فقط يحتاج إلى معايير واقعية يؤسس عليها وتكون مرتبطة كلية بطبيعة الموقف الذي يتم التواصل فيه أي أنها تكون قابلة للتغيير والتطور بتغير المواقف واختلاف السياقات؟ وهل بالضرورة هذه الاستراتيجيات وهذه الآليات تكون آليات عقلية مجردة أم أنها استراتيجيات وآليات واقعية نابعة من داخل الواقع الحي الملموس المعيش الذي نحياه معًا؟ هل يمكن أن يكون للتواصل فلسفة يبنى عليها، ما هذه الفلسفة؟.

الفلسفة بشكل عام هي أسلوب وطريقة حياة؛ إنها طريقتنا في التفاهم والتعايش والتواصل معًا، ومعنى ذلك أن الفلسفة والتواصل يكمل كلٌ منهما الآخر ويكون كلٌ منهما جزء لا يتجزأ من الآخر؛ فالفلسفة هي الطريقة أو الأسلوب الذي نعبر به عن أفكارنا، وبالتالي نتواصل عن طريق نقل هذه الأفكار والرغبات بشكل سليم، إذًا فاتباع طرق وأساليب معينة يمكن أن نستفيد فيها من الفلسفة سيعيننا على أن نتواصل بشكل فعال.

وإذا تساءلنا عن التواصل وارتباطه بالسياسة سنجد أن الرغبة الصادقة في التواصل المشترك الحقيقي تؤدي إلى تقليل العنف، وإلى ترسيخ لغة الحوار، وحل النزاعات من خلال استبعاد لغة العنف وتغليب لغة العقلانية؛ من خلال التواصل السياسي يمكن أن يتحقق التفاهم والتعايش والتعاون ويمكن أن تتضافر الجهود من أجل حياة مشتركة، وغياب التواصل الفعال يؤدي إلى غياب لغة الحوار، وغياب لغة النقاش، وغياب لغة المداولات، ويحل محلها لغة العنف ولغة الحروب والهيمنة؛ اللغة الأحادية التي ترغب في فرض الهيمنة والسيطرة، والتي يغيب معها كل حوار ويغيب معها كل نقاش؛ فالتواصل مرتبط بكل جوانب حياتنا بما فيها وعلى رأسها الجانب السياسي.

من هنا ترجع أهمية هذا البحث إلى أنه يحاول أن يلقي الضوء على هذه الكلمة الهامة كلمة التواصل؛ يحاول أن يكشف لنا عن أسرارها، يحاول أن يثبت لنا أنها وسيلتنا لصنع حياة مشتركة؛ إنها وسيلتنا لبناء العلاقات وللتعايش والتفاهم والتفاعل مع بعضنا البعض، وإن غياب هذا التواصل سيؤدي إلى هدم العلاقات والعجز عن التفاهم، والعجز عن إقامة لغة للحوار والتعايش بين البشر، ومن هنا حاول هذا البحث أن يلفت الانتباه إلى أهم الطرق والأساليب التي يمكن التعويل عليها ليكون هذا التواصل فعال ويحقق ما يصبو إليه.

وبذلك ترجع أهمية هذا البحث إلى العلاقة الوثيقة التي أقامها لادن بين الفلسفة والتواصل من خلال التأكيد على أن التفكير يكون في الأساس تواصلًا اجتماعيًا؛ إنه ليس أبدًا تفكيرًا فرديًا انعزاليًا وإنما تفكيرًا تشاركيًا تواصليًا؛ إنه الأداة الفعالة التي نتمكن من

خلالها من بناء حياة مشتركة ومن التفكير والتعايش معًا، ومعنى ذلك أن التفكير يكون مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالواقع المعيش، وإنه ليس له وجود حقيقي إلا من خلال هذا الواقع الذي نحياه ونصنعه معًا.

كذلك يلقي هذا البحث الضوء على الدور الذي تقوم به المحادثة العادية في تدعيم أواصر التواصل، وكيف أن هذه المحادثة تكون وسيلتنا لإنجاز أرضية مشتركة نتمكن من خلالها من التعايش معًا؛ إن المحادثة العادية هي وسيلتنا لنقل أفكارنا ومشاعرنا ورغباتنا إلى الآخرين؛ إنها ستمكننا من الوصول إلى تفاهمات مشتركة تكون قادرة على تحقيق التقارب بين البشر، إنها ليست لها أهداف صارمة تسعى إلى تحقيقها؛ وإنما تتسم بالمرونة وتبادل الصدق والاحترام المتبادل، والرغبة الحقيقية في الشعور بالآخر والتعايش معه والاستجابة له، وتفهم مشاعره وآراءه وأفكاره، إنها رغبة صادقة ومتبادلة في بناء حياة مشتركة تضم الجميع أو تضم كل من يدخلون في هذه المحادثة.

كذلك ترجع أهمية هذا البحث إلى العلاقة التي أقامها لادن بين السياسة والتواصل مؤكدًا على أن السياسة لكي تكون قادرة على تحقيق تواصل فعال حقيقي يجب أن تنتقل من دائرة المفاوضات إلى دائرة المداولات، لأن دائرة المفاوضات تسعى إلى تحقيق تسويات وحلول وسط في نفس الوقت الذي تسعى فيه للوصول إلى قرارات واتفاقيات نهائية، ولكن كل طرف في هذه المفاوضات ينظر إلى الآخر على أنه عقبة في طريقه؛ كل طرف يرغب في الهيمنة والسيطرة والانتصار على الآخر، وغالبًا يكون مصير هذه المفاوضات الفشل؛ لأنها لا ترغب في الوصول إلى حلول حقيقية؛ وبالتالي لا ترغب في حل المشكلات والأزمات؛ وإنما هذه المفاوضات لأنها تقوم على غياب الثقة، وغياب الرغبة في التفاهم والمشاركة الحقيقية، والرغبة في إيجاد أرضية مشتركة والتي لا تتحقق إلا من خلال الرغبة الصادقة في صنع حياة مشتركة تضم البشر بداخلها في أمن وسلام واستقرار فإن هذه المفاوضات يكون مصيرها الفشل، لذلك من الأفضل لكي يكون هناك تواصل حقيقي أن تتحول السياسة من دائرة المفاوضات إلى دائرة المداولات؛ لأنه من خلال المداولات نتمكن من صنع حياة مشتركة لا يكون هناك وجود للغة الهيمنة والرؤيا

الأحادية؛ وإنما تكون هناك رغبة في إيجاد أرضية مشتركة يمكن أن يقف عليها كل الأطراف لا يكون فيها منتصر ومهزوم؛ وإنما رغبة في المشاركة الحقيقية في المداولات التي لا تسعى إلى الوصول إلى اتفاقيات وقرارات نهائية؛ وإنما تكون فيها المداولات مفتوحة دائمًا للمراجعة والنقد، ومحاولة إيجاد حلول واقعية فعالة تتمكن حقًا من معالجة المشكلات والأزمات عن طريق رغبة صادقة في التخلص من كل أشكال الهيمنة والسيطرة، ورغبة في إيجاد حياة مشتركة يمكن أن يحياها البشر معًا، بعيدًا عن الصراعات والعنف، وبعيدًا عن لغة الهيمنة والسيطرة التي تقوم عليها المفاوضات السياسية.

يدور هذا البحث حول إشكالية رئيسة هي: ما الذي يقصده لادن بفلسفة التواصل؟ وما الدلالات الواقعية التي تعبر عنها؟ ولمعالجة هذه الإشكالية يتم طرح عدة تساؤلات أهمها: إلى أي مدى يكون هناك ارتباطًا بين التفكير والتواصل الاجتماعي؟ كيف تكون المحادثة العادية وسيلة لتدعيم أواصر التواصل؟ ما الذي دفع لادن للدعوة إلى تحويل المفاوضات السياسية إلى مداولات سياسية وما صلة ذلك بفلسفة التواصل؟.

1- <u>التفكير بوصفه تواصلًا اجتماعيًا:</u>

يبدأ **أنتوني سيمون لادن** حديثه عن فلسفة التواصل من خلال تأكيده على وجود ارتباط وثيق بين التفكير والتواصل الاجتماعي؛ فنجده يقول "أننا إذا نظرنا إلى الأشخاص الذين يشعرون بالسعادة فإن سعادتهم تكون راجعة في الأساس إلى قدرتهم على أن يحيوا معًا"، إنهم وصلوا إلى هذه الحالة من خلال اقتراح ومشاركة وتبادل الأفكار التي تشكل عالمهم، فمن خلال ترجمة أفكارهم إلى أقوال وأفعال، ومن خلال قدرتهم على تبادلها وتفهمها تمكنوا من العيش معًا، إنهم لا يهدفون فقط إلى التوصل إلى قرارات صائبة؛ وإنما يرغبون أيضًا في التحدث والمشاركة والتفكير معًا، إنه تفاعل مستمر يتواصلون من خلاله مع بعضهم البعض باستمرار؛ في العيش معًا يتشاركون ويبنون ويجدون مساحات مختلفة خارج مسكنهم المادي: مساحات للمعاني ومساحات للأفكار، فبدلاً من التركيز على الحسابات والاستنتاجات وحل المشكلات؛ فإن نشاط التفكير المصور هنا يبرز إمكانات

العيش معًا والتي يصعب غالبًا رؤيتها بوضوح من خلال طرقنا المعيارية التي تركز على الأحكام العقلية المحضة؛ إنه التفكير المنطقي الذي يكون مثل زوج جديد من النظارات يساعدنا على رؤية هذه الاحتمالات بشكل أكثر وضوحًا.

وفي هذا الإطار تصف الصورة الاجتماعية التفكير المنطقي على أنه تفاعلٌ مستمرٌ مع الآخرين؛ حيث يتحقق التناغم بين الأفراد وبين عالمهم، إنه يختلف عن الصورة القياسية التي تنظر إلى التفكير المنطقي على أنه نشاط يهدف إلى الوصول إلى الأحكام العقلية الخالصة من خلال مواءمة تقدم أفكارنا مع هياكل رسمية معينة من أجل التنقل بشكل أفضل في العالم لحل مشاكل معينة، وربما البحث عن الحقيقة أو الخير المحض.[1]

إن الصورة القياسية للتفكير تعبر عن التوجه النظري المسبق والذي يتم من خلاله تصور موضوع بعينه وطرح الأسئلة التي يتم وضع نظريات معينة للإجابة عنها، إنه نادرًا ما يكون موضوع فحص وتأمل صريحين؛ بدلاً من ذلك فإنه يحدد المصطلحات التي بموجبها يتم المضي قدمًا في فحصنا وتفكيرنا، إنه يلفت انتباهنا إلى بعض القضايا بدلاً من الأخرى، ويسلط الضوء على بعض الظواهر ويحجب أخرى؛ إنه يساعد في جعل بعض الاستنتاجات أو الملاحظات تبدو بديهية أو واضحة، ويجعل من الصعب رؤية الاستنتاجات الأخرى أو أخذها على محمل الجد.[2]

وهنا يؤكد لادن أننا غالبًا ما نفشل في تقدير أو نسيء فهم أنشطة التفكير عندما يتم التركيز فقط على الصورة القياسية، إن مثل هذا الإخفاق في تقدير البدائل التفسيرية والإمكانيات المصاحبة للعمل يمكن أن يضع عقبات في طريق حياتنا معًا والتي تتشكل من خلال المشاركة في أفكارنا وأفعالنا، من خلال مساعدة الصورة الاجتماعية للتفكير يتضح أنه يمكننا أن نتخيل مجموعة من البدائل الأخرى؛ حيث يأتي أولئك الذين يختلفون

---

[1] - Anthony simon laden ,reasoning asocial picture ,oxford university press,2012,pp8,9.

[2]- Anthony Simon Laden, Negotiation, deliberation and the claims of politics, in Multiculturalism and Political Theory, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, Cambridge, New York, 2007, pp 199,200.

مع بعضهم البعض ليس كمعارضين وعقبات ولكن كشركاء يبحثون عن طرق مشتركة للعيش معًا، كذلك فإن النظر إلى التفكير على أنه تواصلٌ اجتماعيٌ يساعد على تجنب بعض الغطرسة من جانب أولئك الذين يعتقدون أن لديهم فكرًا أفضل من غيرهم سواء كانوا خبراء أكاديميين أو سياسيين والذين ينظرون إلى المختلفين عنهم على أنهم يفتقرون إلى العقل، وبالتالي لا يشاركون بشكل مثمر في البحث عن طرق مشتركة للحياة سويًا بل يتم المناورة حولهم والتلاعب بهم، إن التأكيد على أن خيارنا هو بين غطرسة العقل ورفض العقل ما هو إلا تركيز على الصورة المعيارية للتفكير وإنكار لصورته الاجتماعية.[1]

تهدف الصورة المعيارية للتفكير إلى توفير معايير نهائية ونظرية لتقييم الوضع المعياري لتفكير مزعوم؛ أي أن كل نظرية تهدف إلى وضع مسلمات أساسية وترغب في فرضها على طريقة تفكيرنا للإجابة مرة واحدة وإلى الأبد عن السؤال: هل هذا يشكل تفكيرًا حقًا؟.[2]

وهذا الحلم بالمعيار النهائي قد تم التعبير عنه من خلال أفكار كانط، تهدف مثل هذه النظريات إلى تأسيس أسس لتفكير محض لمبادئها، إن إرساء مبادئ العقل النهائية بهذه الطريقة يسمح لنا بإصدار أحكام نهائية، ويبدو أن هذا هو الهدف الكامل لوجود مثل هذه النظريات، أما الصورة الاجتماعية للتفكير فإنها لا تقدم مثل هذا الأساس النهائي؛ إنها تؤكد أن كل ما هنالك هي وجهات نظر تقييمية متعددة نضعها في الاعتبار عند تقييم مقترحات الآخرين لأخذ ما يقولون بجدية، وينطبق نفس الشيء على موقفهم تجاهنا؛ إنه نشاط تفاعلي متبادل نمارسه معًا ونعمل من خلاله على تحديد مساحات الأفكار التي نعيش فيها، هذه الاعتبارات التشاركية المتبادلة هي الموارد التي نمتلكها للعيش معًا.

إن ما تقدمه الصورة الاجتماعية للتفكير لا يهدف إلى وضع أي أسس نهائية؛ بل هو مجرد مجموعة من الإرشادات للمشاركة في أنشطة التفكير والمحادثة، إن أنشطتهم التفاعلية التي تعبر عن أفكارهم هي التي يكون لها السلطة الوحيدة عليهم، والسلطة

---

[1]- Anthony simon laden ,reasoning asocial picture , pp9,10.

[2]- Ibid ,p.213

الوحيدة التي يحتاجون إليها، والتي تعتمد في الأساس على اشتراط أن يكون أي تفكير مزعوم مفتوحًا دائمًا لجميع خطوط النقد، وأن المقترحات والدعوات المقدمة للتواصل مع الآخرين تكون متبادلة، وأن يكون التفاعل قائمًا في الأساس على جهد مشترك لإيجاد أرضية مشتركة مفتوحة للتواصل المتبادل، وبذلك نجد أن هذه الصورة الاجتماعية للتفكير لا تسعى إلى تقديم إجابة نهائية عن السؤال هل هذا يشكل تفكيرًا حقًا؟.[1]

وهنا يظهر تأثر لادن بميشيل أواكشوط (Michael Oakeshott)(1901 – 1990) الذي رأى أن النسقية أدت إلى وجود نمط فكري واحد يتمثل في الاتجاه العقلاني[2] ومن أهم المسلمات التي تقوم عليها العقلانية والتي كانت موضع رفض من قبل أواكشوط؛ التأكيد على أن ملكة العقل يمكن أن توجه الأفعال بشكل كامل، لأن العقل بمفرده هو الذي يوجه التغيرات في المجتمع، هذه التغيرات التي تطمح في أن يكون المجتمع الواقعي مطابقًا للمجتمع المثالي الذي تم تخيله، إذ لا يوجد شيء بعيد عن الفحص والتدقيق؛ لذا فإن العقل يكون كافيًا للحكم على كل ممارسة.[3]

وهنا يؤكد أواكشوط أن سيادة النسقية العقلية تعني أننا فقدنا السيطرة على أمورنا، وأن هذه السياسة العقلية ما هي إلا تعبيرًا عن زيادة اللاعقلانية والاستبداد، إذ أن المعرفة الكلية التي يتحدث عنها هذا الاتجاه العقلاني ما هي إلا معرفة جزئية، وليس الجزء الأكثر أهمية؛ وعليه فقد أصبحنا نفتقر إلى المعرفة الملموسة بكيفية القيام بالأفعال التي تعدُّ أساس حياتنا[4]وللخروج من النسقية يرى أواكشوط أننا يجب أن نكون على وعي بأن

1- Ibid ,p,214.

2- Michael Oakeshott, Political Education In Rationalism In Politics And Other Easy, London: Methuen And Co ltd , 1962, p1

3-Harwell Wells, The Philosophical Michael Oakeshott, University of Pennsylvania Press Stable, Journal of the History of Ideas, Vol. 55, No. 1, 1994, pp 135 , 136

4- Paul Franco, Michael Oakeshott, An Introduction, New Haven: Yale University, 2004 , p87.

الممارسات ليست مجرد وسائل لتنفيذ الأفعال، وإنما هي ذاتها تشكل تفكيرنا، وأنها مصدر النشاط، وليس أي ملكة عقلية خيالية.[1]

ويظهر أيضًا تأثره بآلان تورين(AlainTouraine)(1925 – 2023) الذي رأى أن النسقية العقلية قد أدت إلى تحطيم العلاقات الاجتماعية، وإلغاء المشاعر، والنفور من العادات والمعتقدات التقليدية، وبذلك أصبحت العقلانية مسألة آلية وتلقائية وضرورية، ومن ثم يجب إخلاء الطريق للعقل ليخترق كل ميادين الحياة[2]، الأمر الذي يجعلنا أمام شمولية تدمر المجتمع، ولا تدع مجالًا للحديث عن الحريات الشخصية.[3]

ويتفق لادن كذلك مع إدغار موران (Edgar Morin)(1921 – ؟) الذي أكد على رفض العقلانية المغلقة، لأن هذه العقلانية المهيمنة لا يوجد بها مكان للعواطف، والانفعالات، والمشاعر الإنسانية، ولكي يتم الخروج من هذه النسقية يرى إدغار موران أنه لابد من التخلي عن هذه الاتجاهات الراديكالية؛ لأنها أبعد ما يكون عن الإنسان وواقعه، وتفاعلاته، ومشكلاته.[4]

ويتفق كذلك مع يورغن هابر ماس (Jurgen Habermas) (1929– ؟) الذي شن هجومًا على العقل الأداتي بسب مركزيته في الفكر الغربي وسيطرته على العقول الغربية في ظل الرأسمالية الحديثة وأكد على ضرورة إحالته إلى عقل آخر وهو العقل التواصلي لمحاولة تنمية البعد الموضوعي الإنساني للعقل , وتقاس العقلانية التواصلية بقدرة الأفراد على المشاركة والتفاعل .[5]

1- Harwell Wells, The Philosophical Michael Oakeshott, P.138.

2- آلان تورين، نقد الحداثة، ترجمة: أنور مغيث، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 1997، ص 30، 31

3- المرجع نفسه، ص 399.

4- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية؟، ترجمة: عبد الرحيم حزل، الدار البيضاء (المغرب)، إفريقيا الشرق، 2012، ص 166.

5 - أبو النور حمدي أبو النور, يورجين هابر ماس \ الأخلاق والتواصل ,التنوير للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت2012 ,ص 133, 137, 140

إذاً ما نحتاج إلى رؤيته عند التفكير في التواصل المتبادل في رأي لادن ليس ما إذا كان هذا النهج يعطينا إجابات أفضل، ولكن ما إذا كان يوفر إطارًا أنسب للتفكير فيها.[1]

إن الصورة الاجتماعية تنظر إلى التفكير على أنه نشاط يتم ممارسته وليس على أنه مجموعة من المبادئ النظرية يتم فرضها على التفكير؛ إنها ليست نتاج آلية عقلية معينة، كما أنها لا تسترشد بمبادئ مجردة معينة، وبذلك يتم وصف الأفكار على أنها الأنشطة التي تعبر عن التفاعل والتواصل المتبادل، وإن كانت هناك مبادئ سيتم الاسترشاد بها فإنها ستكون القدرات العقلية التي تمكننا من الانخراط في هذا النشاط.

وبذلك يتم النظر إلى التفكير المنطقي على أنه نشاط يتم من خلاله تقديم وتبادل الأفكار وليس على أنه مجموعة من المبادئ المتعالية، وبالتالي فإن ما يميز نشاط التفكير الذي تصفه الصورة الاجتماعية هو مستوى الاستجابة ونوعيتها والتي تكون نتاج تفاعلنا المشترك؛ إنه صورة عملية للتفكير تنظر إلى التفكير على أنه شيئا نقوم به.[2]

ومن هنا فإن التفكير بوصفه تواصلًا اجتماعيًا لا ينظر إلى الحكمة على أنها معيارٌ نهائيٌ أو حافزٌ طبيعيٌ؛ وإنما تكون نتاج الأنشطة التفاعلية التي تحتاج إلى بذل المزيد من الجهد للوصول إليها[3].

وعندما يتم النظر إلى التفكير على أنه نشاط تفاعلي فإنه يصبح الوسيلة التي نتمكن من خلالها من العيش معًا؛ لأنه سيعكس ترابطنا وتواصلنا المتبادل واستجابتنا

---

[1]- Anthony Simon Laden , The trouble with prudence , Philosophical Explorations, An
International Journal for the Philosophy of Mind and Action, Vol. 12, No.1, March 2009, p.35

- Anthony simon laden ,reasoning asocial picture ,pp11,12[2]

[3]- Anthony Simon Laden , The trouble with prudence , Philosophical Explorations,p.19.

لبعضنا البعض، وبذلك يمكن تعريف التفكير على أنه ما نقدمه ونتبادله معًا وليس على أنه مجموعة من الهياكل الرسمية التي يتم فرضها علينا.[1]

يتضح من ذلك أنه في ظل غياب النشاط التفاعلي لا يكون هناك وجود حقيقي للتفكير الذي يأتي من استجاباتنا لبعضنا البعض وقدرتنا على التعامل معًا بوصفنا مخلوقات عاقلة، وهذا التفكير لا يتطلب مجرد استجابة؛ وإنما استجابة مناسبة لنشاط التفاعل والتي لا تنظر إلى التفكير على أنه نشاط انعزالي مجرد؛ وإنما يكون مرتبط بغيره من الأنشطة الأخرى مثل الشعور والعاطفة والتأثير.

وهنا فإن أفكارنا ما هي إلا أقوالنا وأفعالنا والتي يتم التعبير عنها في سياق النشاط التفاعلي الذي نمارسه معًا؛ إن وصف التفكير على أنه تواصل اجتماعي يعكس القدرات التي نتمكن من خلالها من تقديم الأفكار والاستجابة لبعضنا البعض، وبالتالي فإنه يحمل بين ثناياه قدراتنا العاطفية ومواقف مختلفة مثل الرعاية والاهتمام والحب بالإضافة إلى قدرتنا على الحساب والاستنتاج والحكم.[2]

التفكير كما هو موصوف هنا هو بالفعل نشاط غني بالقيمة؛ لأنه يعبر عن رغبتنا في بناء حياة مشتركة نتمكن من خلالها من التواصل معًا وتبادل الاستجابات والمقترحات والرغبات والمشاعر والأفكار، وبالتالي لا يكون هناك وجود للعزلة أو الانفرادية؛ وإنما رغبة صادقة في أن نحيا معًا.[3]

وهنا فإن نشاط التفكير يكون له ميزات أساسية يمكن أن نستخلصها من كانط وأهم هذه الميزات: الانفتاح على النقد.[4]

يصر كانط على أن سلطة العقل تكمن في انفتاحها المستمر على النقد؛ بمجرد أن نغلق طرق النقد سواء باسم المنفعة أو احترام المقدس بما في ذلك الأشخاص ومواقفهم

---

[1]-Anthony simon laden ,reasoning asocial picture ,p.13

[2]- Ibid ,p13.

-Ibid ,p14.[3]

[4]- Ibid ,p15

الخاصة فقد توقفنا عن التفكير وبدأنا في إصدار الأوامر أو طاعتها، تتمثل إحدى الطرق لتجنب إغلاق الانتقادات في ترك الباب مفتوحًا دائمًا لإمكانية مواجهة المزيد من الاستجابات لما نقوله، وبالتالي عدم استخلاص استنتاجات نهائية أبدًا، يشير هذا إلى أن التفكير نظرًا لأنه لا يمكن التوصل إلى استنتاجات مرة واحدة وإلى الأبد يجب أن يكون عملية مستمرة، بالإضافة إلى ذلك إذا كنا نؤمن حقًا بفكرة أنه ليس هناك شخص يعرف كل شيء؛ فإن الانفتاح الدائم على النقد يعني حتمًا الانفتاح الفكري مع الآخرين، وهذا يعني أن التفكير يكون في الأساس نشاطًا اجتماعيًا تشاركيًا مفتوحًا دائمًا للنقد ولتقديم الأفكار والاستجابات المتبادلة، ولا يمكن أن يكون له نهاية أو غاية محددة بعينها يتوقف عندها، وبدلًا من ذلك فإن التفكير يكون دعوة مفتوحة لحق النقد من قبل الآخرين؛ إنه دعوة لأخذ أقوالنا بجدية وتقديم استجابة مناسبة لها من قبل الآخرين، ينطوي قبول التفكير إذًا على إقرار بأننا نتشارك معًا حتى ولو بأفكار بسيطة.[1]

وهنا فإن تبادل الأفكار والانفتاح المستمر على النقد يسمح لنا بالتعبير عن ذواتنا بحرية تامة، وفي نفس الوقت يفسح المجال للمشاركة والتواصل مع الآخرين.[2]

ومن الميزات التي ينطوي عليها أيضًا وصف التفكير على أنه نشاط اجتماعي أنه يعكس قدرتنا على التفكير معًا، ولا يمكن إنكار أننا نفكر بشكل أفضل عندما نفعل ذلك، وهنا فإن التفكير المنطقي لا يكون شيئًا مستقلًا عن أقوالنا وأفعالنا؛ إنه في الأساس شيء نفعله معًا، وهذا يعني أن التفكير المنطقي بوصفه نشاطًا اجتماعيًا لا ينكر أن تكون الأفكار مدروسة ومسؤولة وأن تكون مفهومة للآخرين عندما يتم تبادلها، ومعنى ذلك أن الأفكار تكون في الأساس اجتماعية تعبر عن النحن وليس عن الأنا الانعزالية الفردية، فهي ليست مجرد مجموعة من النقاط المنفصلة ولكنها مرتبطة ببعضها البعض من خلال

---

[1]-Ibid ,pp.14,15

[2]- Anthony Simon Laden , The trouble with prudence , Philosophical Explorations ,p ,p.33,34

مجموعات من العلاقات التي تعبر عنها الصورة الاجتماعية للتفكير، هذه العلاقات هي نتاج القواعد التفاعلية التي يقوم عليها نشاط التفكير.

وبالتالي ستشكل الأفكار فضاءً يمكن أن نتبادله ونتشاركه سويًا، وهذا يعني أن كلًا منا سيكون له وجود حقيقي داخل هذا الفضاء من خلال مشاركته الفعالة في بناءه وضمان استمراريته، ومعنى ذلك أن فضاء الأفكار هو في الأساس عام واجتماعي وقابل للمشاركة، وبالتالي لا ينتج عن بنى عقلية فردية، لا يتطلب تقاسم مساحة من الأفكار أن نقف عند نفس النقطة بالضبط، عندما نتشارك في مساحة من الأفكار لا يتعلق الأمر فقط بمكانة كل منا، ولكن كيف نتعامل مع بعضنا البعض من خلال الوساطة في المساحة المعنية، وكيف نفهم مسؤوليتنا المشتركة عن صيانتها وتجديدها.[1]

يتضح من ذلك أن طريقة تفكيرنا في عالمنا الاجتماعي تحدث فرقًا في هذا العالم ومكاننا داخله.[2]

وبذلك تتضمن القدرة على التحدث مع الآخرين مشاركة مساحة من الأفكار والتي تؤكد أننا نتفهم وجهات نظرهم ونرغب في تقديم استجابات مناسبة لها، وهذا التفهم لا يعكس فقط رغبتنا في التحدث معهم وإنما أيضًا قدرتنا على التحدث نيابة عنهم؛ لأننا أصبحنا نتفهم موقفهم، وبالتالي يشعر الآخر بأنك تهتم به وتأخذ ما يقوله بجدية وترغب حقًا في مشاركته والتواصل معه، نظرًا لأن تقاسم هذا الحيز من الأفكار هو أساس ونتيجة العيش معًا يتضح أن التفكير هو نشاط يتطلب ويعيد بناء عالم مشترك وهذا هو المعنى الذي يمثله نشاطًا اجتماعيًا عميقًا، هذا التفكير هو مسألة معرفة أين وكيف يمكننا التحدث مع الآخرين، وبالتالي فإن شكل ومضمون هذا النشاط التواصلي نشكله معًا ونتمكن من خلاله من اكتشاف وبناء معالم علاقاتنا مع الآخرين ومن ثم معالم هويتنا الخاصة، في

---

[1]- Anthony simon laden ,reasoning asocial picture ,pp.16,17.

[2]-Anthony Simon Laden , The Key to/of Public Philosophy , Political Theory , Vol. 39, No. 1 February 2011, p 116.

هذه الصورة الاجتماعية للتفكير فإن قيمة التفكير هي أنها تسمح لنا ببناء علاقات متبادلة حقًا ومن ثم تقاسمنا للعيش معًا وليس فقط جنبًا إلى جنب.[1]

تشمل الحالات الواضحة للعيش معًا ممارسة لعبة كفريق واحد أو الانخراط في محادثة حية؛ حيث لا يوجد لدى أحد أجندة أخرى بخلاف حيوية المحادثة نفسها.[2]

كل هذا يمكن القيام به من خلال التفكير معًا، ويمكن للتواصل أن يفشل على الرغم من رغبة الأطراف المتواصلة في الحفاظ عليه إذا لم يتمكنوا من ترتيب وتنسيق حياتهم المشتركة، إذا فشلنا في العيش معًا من خلال التصدي لبعضنا البعض وإلحاق الأذى ببعضنا البعض نجد صعوبة أكبر في متابعة أهدافنا الفردية، وفي ظل هذا الوضع تصبح الحياة سيئة ووحشية وقصيرة، وبالتالي يكمن جزء من إقامة هذه الحياة المشتركة في مساحات مشتركة من المعنى والتفكير معًا، تتيح مثل هذه المشاركة لهم فهم بعضهم البعض حقًا، واستكمال جمل بعضهم البعض، والإجابة عن أسئلة بعضهم البعض قبل طرحها بالكامل، عندما نفشل في العيش معًا نجد أنفسنا وحدنا غير قادرين على التواصل مع الآخرين من حولنا، إننا نكون عاجزين عن أن نجعل أنفسنا أكثر وضوحًا لهم للتفاعل معهم كأشخاص رفقاء، إن العزلة التي يخلقها الفشل في التفكير معًا ليست مسألة فشل التنسيق؛ إنه شعور بأن لا أحد يفهم ما تقوله أو تفعله أو من أنت، يمكن أن تقود هذه العزلة إلى الجنون بل حتى إلى نوع من الموت، وهنا يظهر تأثر لادن بجان جاك رسو الذي رأي أن القدرة على العيش معًا هي –إلى حد ما– ما يجعلنا إنسانًا كاملًا.[3]

يتيح لنا التفكير سويًا سد هذه الفجوات من العزلة؛ لأنه لا يقتصر فقط على قول أشياء مفهومة للآخرين ولكن الآخرين أيضًا يستمعون إلى ما نقوله بوضوح واهتمام، هناك أشكال معينة من الصدمات العنيفة تترك ضحاياها معزولين وحدهم بسبب عدم تفهم الآخرين لما حدث لهم، يتحدث الناجون من الصدمات عن التعافي الذي يحدث لهم عندما

1- Anthony simon laden ,reasoning asocial picturepp, 19,20.

2-Ibid ,p.20

3-Ibid ,pp21,22

يتم الاستماع لهم وقبول قصصهم، وصعوبة وعزلة ما يشعرون به عندما لا يستمع أحد إليهم بهذه الطريقة، من أجل تعافيهم وإعادة دخولهم في العلاقات الإنسانية لا يكفي التخلص من الصدمات؛ يجب على المرء أن يقول أو يكتب أو يرسم أو يصور رواية تعبر عن ما يشعر به، ويجب على الآخرين رؤيتها أو سماعها من أجل بقاء الفرد كذات كاملة، هذا يكشف عن المدى الذي يتم به خلق الذات والحفاظ عليها من قبل الآخرين، وبالتالي يمكن أن يتم تدميرها أيضًا من قبل الآخرين عندما يكون هناك عجز عن تفهمها واستيعابها من خلال التفاعل والتواصل المشترك.

إن ما يتم فقدانه من خلال الصدمات ويجب أن يتم استعادته ليس القدرة على العيش إلى جانب الآخرين ولكن القدرة على العيش معهم، إن العيش معًا ليس شيئًا يأتي تلقائيًا لنا؛ نحن لا نأتي بأمر مشترك إما عن طريق الغريزة (مثل النمل) أو بحكم بعض الحقائق الميتافيزيقية أو القيادة الخارقة للطبيعة (مثل الجنود في جيش الله)؛ بدلاً من ذلك إذا أردنا مشاركة العالم فعلينا أن نبنيه معًا، إن وصف التواصل على أنه نشاط اجتماعي يعني بالتالي وصفه بأنه نشاط صنع هذا العالم والحفاظ عليه وسكنه في شكل مساحة مشتركة من الأفكار.[1]

وبذلك يمكن تصوير التفكير المنطقي ليس كنشاط عرضي ونهائي ولكن كنشاط مستمر.[2]

إذا كان التفكير المنطقي مرتبط بأقوالنا وأفعالنا فمعنى ذلك أنه لن يكون نهائيًا بأي حال من الأحوال أو موجهًا لتحقيق أهداف بعينها، وبذلك يمكن وصف التفكير المنطقي على أنه نشاطٌ اجتماعيٌ تواصليٌ مرتبط بتقديم استجابات مستمرة ومنفتحة دائمًا وقابلة للتجديد والتغيير وذلك لارتباطها بمواقفنا الحياتية المتجددة والمتغيرة على الدوام.[3]

---

[1]-Ibid ,p23.

[2]-Ibid ,p27.

[3]-Ibid pp.27,28.

يتضح من ذلك أن الأفكار ليست أوامر يتم إعطاؤها للآخرين؛ وإنما تفاعلات يتم تبادلها بينهم تحتمل القبول أو الرفض من قبل الآخرين، كما أنها ليست عديمة القيمة بالدرجة التي يتم النظر إليها على أنها مجرد ضوضاء؛ لأنها تعتمد في الأساس على التفهم والاهتمام المتبادل وأخذ أقوالنا وأفعالنا بجدية، إن ما يميز الأفكار بوصفها تواصلًا اجتماعيًا عن الأوامر والضوضاء هو أنها تتصف بالاستمرارية؛ لأنها ترتبط بأقوالنا وأفعالنا، وبالتالي لا يمكن أن يتم إغلاقها مرة واحدة وإلى الأبد.[1]

وبذلك لا يكون التفكير المنطقي نشاطًا عرضيًا؛ وإنما يشكل جزءًا من خلفية حياتنا المشتركة، وهذا يعني أن مساحة الأفكار هي شيء نعيش فيه وليس مجرد عارض يمر في حياتنا ثم يزول سريعًا، وإن التفكير المنطقي هو النشاط المستمر لسكان تلك المساحة، يتضح من ذلك أن التفكير هو النشاط المحوري الذي تدور في فلكه حياتنا وليس مجرد نشاطًا عرضيًا نستخدمه في وقت معين أو مكان محدد ثم نكف عنه بعد ذلك، يتطلب التفكير اهتمامًا ليس بحل المشكلات المنعزلة؛ ولكن بكل التفاعلات التي يصفها ستانلي كافيل بأنها تعبر عن حياة الكائن الحي وعن طرق مشاركتنا في الاهتمام والشعور، وطرق الاستجابة، وحس الفكاهة والأهمية والوفاء.[2]

إننا نعيش معًا ونكوّن عوالمنا الاجتماعية لكي تتسع لتواصلنا المشترك وتجعلنا قادرين حقًا على العيش معاً.[3]

وبذلك يمكن وصف التفكير المنطقي على أنه شكل من أشكال الدعوة أو الاقتراح، إن النظر إلى التفكير كدعوة له ميزتان: أولاً إنه يوفر طريقة لفهم سلطة التفكير بطريقة تختلف اختلافًا جذريًا عن نوع السلطة التي يتم من خلالها إصدار الأوامر والتشريعات، ثانياً: تسمح الدعوات بخلق علاقات غير موجودة بالفعل، ومن ثم التقاط ميزة أساسية لنشاط التفكير المنطقي هنا: أنه لا يحدث فقط في نطاقات مشتركة من الأفكار؛ ولكن

---

[1]-Ibid ,p.28

-Ibid ,pp.29,30.[2]

[3]- Anthony Simon Laden , The Key to/of Public Philosophy ,p114

يمكن أن يساعد في بناء وتعديل تلك المساحات، عندما أدعوك إلى أخذ كلامي على أنه يتحدث نيابة عنك فإنني بذلك أفتح مساحة من الأفكار التي يكون بمقدورنا مشاركتها، وإذا قبلت دعوتي فأنت بذلك تشارك في بنائنا المشترك لهذا الفضاء من الأفكار.[1]

فيما يمكن أن يُطلق عليه تبادل ناجح للأفكار تكون الدعوة إلى التواصل المشترك بمثابة دعم للتفهم المشترك للعلاقات المتبادلة.[2]

وفي ضوء ذلك يرى لادن أن هناك بعض الدعوات تحتاج إلي مراجعة لتكون أكثر وضوحًا، وسوف يتحقق ذلك من خلال تقديم بعض التفسيرات والتبريرات التي ستمكن الطرف الآخر من المشاركة وتجعله قادرًا على التحدث نيابة عن الآخرين، ولكن هذه الدعوات من المحتمل أن تكون موضع رفض من قبل الآخرين، ومع ذلك فإن هذه الدعوات تكون وسيلة للقول بأن عالمي هو عالم يمكن أن يسكنه مخلوق عاقل، وهو عالم يمكنني أن أدعوك إليه بحسن نية، وهو عالم يجب أن تشعر فيه بالحرية في تركه في سلام.[3]

إذا لم يكن هناك رابط جوهري بين الأفكار التي تخدم الدعوات وتواصل محادثاتنا وأفعالنا فعندئذ تكون أفعالنا تعسفية؛ مجرد حركات يسيطر عليها شيء أو شخص آخر أو مجرد عشوائية وغير متعمدة، يتضح من ذلك أن التفكير المنطقي يتسم بالحركة المتواصلة، وأن الأفكار التي نقدمها لبعضنا البعض ترتبط بقراراتنا واستنتاجاتنا وإجراءاتنا، إن التفكير المنطقي يتضمن ترجمة أفكارنا إلى أقوال وأفعال متبادلة تسمح لنا بتبادل الأفكار، يعمل هذا النشاط على تحديد كيف يبدو العالم لكل واحد منا ولنا معًا، تعمل الأفكار هنا على طريقة الدعوات التي تطالبنا بقبول أو رفض مقترحات معينة لدحضها أو

[1]- Anthony simon laden ,reasoning asocial picture ,pp.32,33.
[2]- Anthony Simon Laden, Outline of a Theory of Reasonable Deliberation, Canadian Journal of Philosophy, Vol. 30, No. 4 (Dec., 2000),p.563
[3]-Anthony simon laden ,reasoning asocial picture p.34

تعديلها، إن تقديم مقترحات بوصفها أفكارًا في مثل هذه المحادثات يمكن أن يطيلها ولكن لا ينهيها، وبالتالي فإنها تدفعنا إلى مزيد من التواصل المشترك.[1]

يتضح من ذلك أنه في الصورة القياسية يكون التفكير نشاطًا يستهدف وينتهي برسم الاستنتاج والذي يعد بالتالي أساس عملية التفكير، أما في الصورة الاجتماعية ، على الرغم من أن التفكير يمكن أن يمهد الطريق للاستنتاجات والقرارات فإن الرسم الفعلي لهذه الاستنتاجات ليس جزءًا متعمدًا من نشاط التفكير لكنه يتجاوزه.[2]

بالنسبة لأولئك الذين اعتادوا على الحجج المعيارية التي تحاول ترسيخ القواعد على أسس لا يمكن إنكارها أولا يمكن تجنبها، فإن الدعوة إلى النظر في المثل الأعلى والعثور على جاذبيته ستبدو ضعيفة وخاسرة بشكل يائس في ظل النظر إلى التفكير على أنه تواصل اجتماعي مشترك. إذا كانت الأفكار هي مسألة تقديم مطالبات تطمح إلى أن تكون أوامر حاسمة فعندئذ يجب أن توفر نظرية الأفكار إجراءات مسبقة لتحديد الأفكار التي لدينا، سواء من خلال وضع نظرية للاختيار العقلاني أو ما يشبه الإجراء الفرضي القاطع، ولكن إذا كانت الأفكار هي دعوات تؤدي إلى استمرار المحادثات فإنها تكون أفكار تواصلية تعبر عن النقاش الحر المفتوح، إن التفاعل ينهار في ظل سلسلة من الأوامر قد تساعدنا نظرية التفكير في معرفة متى يحدث هذا وكيفية تجنبه، لكنها لا تستطيع بالتالي توفير خوارزميات لاتخاذ القرارات؛ بدلاً من ذلك فإنها توفر إرشادات حول أنواع التفاعل المعقولة، باختصار تساعدنا نظريات التفكير في إدراك المعقولية.[3]

إذا كان نشاط التفكير هو نشاط مشاركة العالم من أجل التوفيق بيننا وبين الآخرين في إطار العلاقات المتبادلة فإن العقل الجيد سيكون معبرًا عن المستمع الجيد: شخص قادر على سماع كلمات الآخرين على أنها دعوات ويتأثر بها أو ينقدها، وشخص قادر على تقديم ردود الفعل المناسبة على الدعوات المقدمة له من قبل الآخرين، إذاً فإن

1- Ibid ,pp.35,36.

2- Ibid ,pp.37-38

3- Ibid ,pp.44,45.

الشخص العقلاني حقًا يكون مستعدًا للتحرك لإيجاد أرضية مشتركة وإقامة علاقات متبادلة والحفاظ عليها، وبدلاً من إعطائنا نظرية يمكن من خلالها وصف التفاعلات بأنها عقلانية أم لا فإن الصورة الاجتماعية للتفكير تُظهر قيمتها في تنشيط ما يمكن اعتباره السياسة الخارجية للشخص العقلاني.[1]

وبما أن الصورة الاجتماعية تبدأ من النظر إلى التفكير على أنه دائمًا نشاط اجتماعي فإنه لا يكون مستقلًا عن علاقتنا بالآخرين؛ وإنما يبدأ من هناك، وبدلاً من التعويل على مجموعة من الأفكار المجردة ؛ فإنه يعمل من خلال أنواع مختلفة من أنشطة التفكير.[2]

إن وحدتنا الشخصية ومجتمعنا الأخلاقي هو شيء نحققه ونحافظ عليه من خلال ممارستنا الأخلاقية وتفكيرنا المنطقي بدلاً من كونه شيء موجود بالفعل، إن وجود مجتمع أخلاقي بالإضافة إلى الذات الموحدة هي أمور يجب أن نبنيها معًا.[3]

هناك الكثير الذي يمكن كسبه من خلال التفكير في مفاهيمنا الأخلاقية الأساسية باعتبارها تطلعية ومؤقتة بهذه الطرق.[4]

يتضح من ذلك أن الأفكار تستمد سلطتها من علاقتنا المتبادلة وتفاعلنا المشترك وليس من غايات يتم فرضها علينا وإجبارنا على اتباعها لأنها تتسم بالعقلانية المحضة التي لا تقبل الجدال بشأنها.[5]

على الرغم من أن الأوامر والقواعد والقوانين تختلف عن بعضها البعض بطرق مهمة بالنسبة لإمكاناتها وارتباطها بالتفكير المنطقي فإنها تشترك في شيء هو الحسم أو

---

[1]-Ibid ,p.46.

[2]-Ibid ,p.47

[3]- anthony Simon Laden , The trouble with prudence , Philosophical Explorations, p.37.

[4]- Anthony Simon Laden , The Key to/of Public Philosophy , p,115

[5]- Anthony Simon Laden, Outline of a Theory of Reasonable Deliberation,p56

الغاية النهائية؛ إنها تخبرنا بما يجب فعله أو التفكير فيه بدلًا من قول أو اقتراح أو تقديم مشورة؛ إنها تنهي أفكارنا ومداولاتنا ومحادثاتنا بدلًا من الاستمرار فيها.[1]

وهنا يؤكد لادن أن رغباتنا يجب أن تحددها إرادتنا ولا يتم فرضها علينا من قبل أي سلطة، وهذه الرغبات يتم تحقيقها من خلال علاقتنا المتبادلة وتواصلنا المشترك، إن تصور إرادتنا على أنها مصممة خارج أنفسنا يعني تصور أنفسنا على أنها تكون مستقلة عنا، ومن المستحيل أن نتصرف فعليًا في ظل هذا المفهوم، إذا جلسنا على افتراض أن هناك شيئًا خارجيًا يحدد إرادتنا ويؤدي بنا إلى التحرك فإننا نجلس في انتظار حدوث شيء ما غريب عنا، ومعنى ذلك أن رغباتنا تكون مرتبطة كليًا بإرادتنا التي تعبر عنها أقوالنا وأفعالنا، يمكننا بعد ذلك التفكير في المبادئ التي تحدد إرادتنا على أنها نوع من الهوية العملية: هويتي بقدر ما تحدد أفعالي، إن هويتي العملية هي تصوري لنفسي ووجهة نظري حول ما يجعل من حياتي قيّمة، إنها تجسد تلك الجوانب من نفسي التي تتمتع بسلطة تحديد أفعالي.[2]

إن الخطأ الذي وقع فيه الكثير من الفلاسفة في رأي لادن هو البحث عن أوراق اعتماد العقل المتمثلة في افتراضات أساسية مسبقة يتم من خلالها تحديد سلطة التفكير، وقد أدى بهم ذلك إلى افتراض أن مسألة القدرات المعيارية للعقل قد حُسمت.[3]

وفي ضوء ذلك يميز لادن بين نوعين من السلطة هما: سلطة القيادة وسلطة الاتصال، ويرى أن هناك فروق جوهرية بين هذين النوعين من السلطة، يتضمن الفرق الأول والأوضح القدرة المعيارية الخاصة التي ينطوي عليها كل منهما، تمنح سلطة القيادة الحق في إصدار الأوامر، ينطوي هذا الحق على القدرة على تحديد جزء من البيئة المعيارية لأولئك الذين يتم قيادتهم من جانب واحد، هذا له بعدان متصلان: إن هذه

---

[1]- Anthony simon laden ,reasoning a social picture ,pp50,51.

[2]- Anthony Simon Laden, Outline of a Theory of Reasonable Deliberation,pp.567,568

[3]- Anthony simon laden ,reasoning a social picture , p.59

الأوامر تقوم بتغيير البيئات المعيارية للمرؤوسين بشكل مستقل عما يفعلونه أو يفكرون فيه أو يقولونه، بالطبع قد يعتمد الحق في القيادة على موافقتهم المسبقة على وضع أنفسهم تحت سلطة القيادة، لكن بمجرد الإقرار بسلطة القيادة لا يكون للمرؤوسين أي سلطة؛ فإن كل ما عليهم هو طاعة الأوامر الصادرة لهم، ثانيًا إن هذه الطبيعة الأحادية للسلطة تقوم على علاقة غير متماثلة، فمن ناحية نجد القائد له كل الصلاحيات، وعلى الجانب الآخر لا يكون للمرؤوس أي سلطة في التصرف بحرية، يتضح من ذلك أنه في ظل هذه السلطة يكون هناك نوعان من العلاقات غير المتماثلة المنفصلة، وليس علاقة واحدة متبادلة.[1]

أما فيما يتعلق بسلطة الاتصال فإننا نجد أولًا: أن القدرة تكون متبادلة بشكل أساسي؛ يحق لنا على حد سواء محاولة تشكيل البيئة المعيارية لبعضنا البعض جزئيًا؛ لأننا من نشكل هذه البيئة المعيارية التي نتشاركها، علاوة على ذلك فإن ما يمنحنا القدرة على تشكيل بيئتنا المعيارية هو عضويتنا في النشاط الاجتماعي الذي نكون جزء منه، وبالتالي فإن سلطة الاتصال هي في الأساس متبادلة، ثانيًا: القدرة المذكورة هنا هي القدرة على تجربة شيء ما، وهذا يبرز بطريقة أخرى أن القدرات متبادلة؛ فإن كل شخص يكون له الحق في مطالبة الآخرين بتقديم استجابات على ما يقوله ويفعله، ولكن ليست مطالبة باستجابات محددة بعينها، هذا يعني أن القدرة التي أمتلكها بموجب سلطة الاتصال مسؤولة جزئيًا عنك؛ إن ردك على ما أقوله يلعب دورًا في قبول أو رفض ما أقوله وأفعله والذي سيكون له تأثير على تشكيل بيئتنا المعيارية المشتركة والتي نكون مسؤولين عنها معًا، ومعنى ذلك أن سلطة الاتصال لا يكون لها وجود ولا يمكن أن يتم ممارستها بشكل أحادي أو غير متماثل؛ لأنها تعتمد على العلاقات المتبادلة.[2]

الفرق الثاني بين سلطة القيادة وسلطة الاتصال يعتمد على طبيعة العلاقة التي تقوم عليها السلطة: لقيادة شخص آخر أحتاج إلى الوقوف في علاقة هرمية معه لأكون في منصب أعلى يمنحني الحق في القيادة، ولكن التحدث مع شخص آخر في سلطة

---

[1]-Ibid ,p.64

[2]- Ibid ,pp.65,66.

الاتصال لا يتطلب تسلسل هرمي؛ إن كلًا منا يكون له وجود مساوي للآخرين في ظل علاقة متبادلة تعبر عن النحن وليس عن الأنا المتعالية، ومعنى ذلك أن المعاملة بالمثل تكون مطلب أساسي لبناء سلطة الاتصال؛ فإن اتصالنا المتبادل يتكون من قدرتنا على الاستجابة لبعضنا البعض والدعوة إلى تقديم ردود فعل مناسبة لبعضنا البعض، بحكم هذه العلاقة المتبادلة يمكن لأي من الطرفين طلب الحصول على جلسة استماع لكن لا يمكنه إصدار أمر.[1]

الفرق الثالث بين سلطة القيادة وسلطة الاتصال يكمن في: أنه بينما يتم تسليم سلطة القيادة في أيدي القائد فإن سلطة الاتصال تقع جزئياً في أيدي المستمع إلى جانب المتكلم، هذه النقطة مهمة للغاية إذا أردنا أن نفهم اختلاف سلطة الاتصال اختلافًا جوهريًا عن سلطة القيادة وكيف يؤثر ذلك على طريقة تفكيرنا من خلال التأكيد على أن سلطة الاتصال هي سلطة مشتركة يكون كل طرف فيها جزء أساسي من هذه العلاقة المتبادلة التي يكون بمقدورها تحقيق التواصل المشترك، وذلك على العكس من سلطة القيادة التي تعتمد في الأساس على علاقة أحادية الجانب لا يكون فيها أي وجود لهذا التواصل المشترك.[2]

هذا يعني أن التفاهم والمسؤولية المشتركة التي يتم الإقرار بها في ظل سلطة الاتصال لا تستخدم مثل السيف، ولكن يتم بناؤها بشكل مشترك مثل الجسر.[3]

الفرق الرابع بين سلطة القيادة وسلطة الاتصال لا يتعلق بطبيعة السلطة وإنما يتعلق بما يتم إنجازه: في حين أن سلطة القيادة تعمل على إنهاء محادثاتنا فإن سلطة الاتصال تترك المجال أمامنا للاستمرار؛ يجب أن يكون أمر القائد بإنهاء محادثة واضحًا بدرجة كافية؛ فإن الرد المناسب الوحيد على أمر شرعي هو تنفيذه وربما إضافة عبارة "نعم يا سيدي" عن طريق الاعتراف بأن الأمر قد سمع وسيُطاع، وهنا نجد أن الأوامر لا تكون

---

[1]-Ibid ,pp.66,67.

[2]- Ibid ,p.70

[3]- Ibid ,pp.71,72.

وسيلة لبدء محادثة أو استمرارها ولكنها وسيلة لتحقيق الفعل؛ أن إصدار الأوامر لا يمكن أن يؤدي إلى إطالة مدة المحادثة.[1]

في المقابل تعتمد سلطة الاتصال في الأساس على تبادل الأفكار وليس على إصدار الأوامر، وأن ما يميز الأفكار عن الأوامر هو أنه يجب دائمًا ترك الأفكار مفتوحة للنقد من جميع الجهات لعدم وجود سلطة ديكتاتورية، ومعنى ذلك أن سلطة الأفكار تكون في الأساس سلطة مؤقتة تأتي من الانفتاح المستمر على النقد.[2]

إذا تصورنا التفكير المنطقي على أنه استدعاء لسلطة الاتصال فسنصل إلى نتيجة هامة هي أنه قابل للمراجعة: التفكير المنطقي متواصل ليس لأنه يمكننا العودة إليه، ولكن لأن إعلان أننا وصلنا إلى نهاية التفكير ليست خطوة مصرح بها داخل النشاط نفسه.[3]

ومن هنا فإن القول بأن التفكير الذي يبني سلطة الاتصال يكون قابل للمراجعة يعنى أنه يكون دائمًا اجتماعيًا؛ من أجل أن يكون الأساس هو التفكير المنطقي وليس القائد يجب على المرء أن يكون منفتح دائمًا على النقد، وأن يعتبر أفكاره بمثابة دعوات تتطلب استجابات من قبل الآخرين، إن القول بأن التفكير المنطقي هو أمر متبادل يعني الاعتراف بهذه النقطة؛ لا يمكنني المشاركة في نشاط التفكير دون الاعتراف في نفس الوقت بوجود الآخرين ودعوتهم إلى المشاركة النشطة في هذا التفكير التواصلي، أخيرًا نظرًا لأن سلطة الاتصال التي يقوم عليها نشاط التفكير يتم تأسيسها بطريقة تحلق إلى الأمام، فإن المعنى الذي يؤكد على أن المنطق هو نشاط يحكمه قواعد محددة بعينها يجب أن يتم إعادة النظر فيه؛ فإذا أردنا أن يكون التفكير قائم على سلطة تطلعية فإن هذا ينطوي أيضًا على الإقرار بأنه يضع القواعد التي تحكم نشاطه، هذا يعني أن عملية

[1]- Ibid .p.73
[2]- Ibid ,p.219.
[3]- Ibid ,p76.

استنباط هذه المعايير واستنباط سلطتها لا تختلف عن عملية التفكير، وبالتالي لا يمكن القيام بها بطريقة نهائية أو أحادية أو حاسمة.[1]

يتضح من ذلك أن الصورة الاجتماعية للتفكير تبدأ من نشاط التفكير ذاته، ونتيجة لذلك فإن تحديد ما إذا كان هناك وجود حقيقي لهذا النشاط التواصلي يتطلب النظر في طبيعة هذا النشاط؛ إنها ميزات النشاط التي تأتي من العلاقات المتبادلة القائمة على التفاعلات المشتركة، هذا يعني أنه لا يمكن تحديد الأفكار في وقت مبكر في غياب السياق الذي يتم تقديمها فيه.[2]

وفي هذا الإطار يتحول التفكير المنطقي إلى نشاط يعبر عن ذاتي، ورغباتي، وتفضيلاتي واهتماماتي، وغاياتي المختلفة، وعن مختلف أعمالي ومشاعري، كما أنه يكون كذلك بالنسبة للآخرين وبالتالي فإنه يكون وسيلتنا للدخول في تواصل مشترك، وبناء على هذا التفكير المنطقي فإنني لا اهتم فقط بسلامتي، وإنما أجلبها باستمرار إلى حيز الوجود.[3]

وفي ظل هذا التواصل الاجتماعي المشترك سيتم النظر إلى الحكمة على أنها نتيجة تفكير عملي ناجح وماهر.[4]

إحدى النتائج المهمة لهذه الحقيقة حول التفكير بوصفه تواصلًا اجتماعيًا هي: أن هناك إحساسًا عميقًا بأنه لم يفت الأوان بعد لتغيير الماضي؛ يمكننا دائمًا تغيير الطريقة التي نستجيب بها لبعضنا البعض بطريقة من شأنها أن تحول تفاعلاتنا لتتناسب مع المستجدات التي نتعرض لها، وبالتالي يمكن أن تتغير طريقة تفكيرنا، وعلى الرغم من

1- Ibid pp.77,78.
2- Ibid ,pp.142,143.
3- Ibid ,pp.226,227.
4- Anthony Simon Laden , The trouble with prudence , Philosophical Explorations ,p.37.

هذا التغيير يستمر تواصلنا؛ لأن الأفكار يجب أن تعود إلى قواعد النشاط، وليس شيء يسبقها.[1]

من هنا يرى لادن أن التفكير المنطقي هو في الأساس نشاط اجتماعي؛ إنه شيء لا نقوم به فقط بحضور الآخرين ولكن مع الآخرين، ومعنى ذلك أن المنطق هو نشاط يعتمد بدرجة كبيرة على السياق.[2]

يتضح من ذلك أن التفكير المنطقي هو في الأساس التفكير سويًا.[3]

وهنا يتفق لادن إلى حد كبير مع هابر ماس الذي اهتم بصياغة قواعد جديدة للفكر متحررة من التسلط والهيمنة والبيروقراطية ووضع قواعد تقوم على الحوار الحر واللغة بين الأفراد وهي أسرع وسيلة للتفاهم وهي لغة التواصل .[4]

وبذلك أراد لادن أن يخرج التفكير من دائرته الانعزالية الانفرادية ليجعله أساسًا لبناء حياة مشتركة؛ أراد ان يجعله أداة ولبنة أساسية لتحقيق التواصل بين البشر، وليس أداة للتباعد بينهم، من هنا اعترض لادن على جعل التفكير يدور في دوائر منغلقة جعل التفكير وكأنه خاص بمجموعة دون سواها؛ وذلك من خلال التأكيد على أن التفكير يقوم على مجموعة من المبادئ والقواعد الأساسية والحسابات المنطقية الدقيقة، وذلك جعل التفكير وكأنه قاصرًا على مجموعة من البشر هم بمفردهم الذين يعلمون هذه القواعد، وهم بمفردهم الذين يجيدون استخدامها، أما بقية البشر يتم وصفهم على أنهم عاجزون عن التفكير؛ لأن ليس لديهم المقدرة على استخدام هذه القواعد وتلك المبادئ، أراد لادن أن يثبت لنا خطأ هذا الزعم؛ فإن التفكير منحة منحها الله لجميع المخلوقات؛ إنه الهبة التي تميزهم عن سائر الموجودات الأخرى، ولكن جعله يدور في فلك بعينه في قواعد ومبادئ

---

[1]- Anthony simon laden ,reasoning a social picture,p,144.

[2]- Ibid ,p.148.

[3]- Ibid ,pp.158,171.

[4] - أبو النور حمدي أبو النور , يورجين هابر ماس | الأخلاق والتواصل , ص 133

بعينها جعله وسيلة للتباعد بين البشر وليس للتواصل بينهم، وإذا تساءلنا ما هو التفكير في حقيقة الأمر نجد أنه ما هو إلا مجموعة من الأقوال والأفعال التي نقولها ونفعلها؛ إنه أسلوب حياة؛ إن التفكير هو حياتنا المشتركة، هو تعاملنا مع بعضنا البعض هو وسيلة للتواصل بيننا؛ فالتفكير يتم ترجمته إلى الحياة المشتركة التي نحياها، وبالتالي لا يكون له وجود دون أفعالنا وأقوالنا، ودون علاقتنا بالآخرين وتواصلنا معهم.

إن التفكير لا يكون أداة لصنع جزر منعزلة مستقلة لكل منها قواعدها ومبادئها المنعزلة المنفصلة تمامًا عن تفكير الجزر الأخرى؛ أراد لادن أن ينزل التفكير من سماء المجردات إلى واقعنا المعيش إلى الحياة التي نحياها ليثبت لنا أن التفكير ما هو إلا حياتنا المشتركة التي نحياها معًا، وإنه ليس أبدًا مجموعة من المجردات المنفصلة أو مجموعة من القواعد الثابتة التي تكون خاصة بفئة دون فئة أخرى؛ إن التفكير هو نشاط يقوم به كل إنسان؛ إنه ممارسة نقوم بها في كل لحظة من خلال أقوالنا وأفعالنا، ومن خلال تفاعلنا وتواصلنا مع الآخرين.

إن وصف التفكير بأنه نشاط يخرجهم من الدائرة المنغلقة المنعزلة ويثبت أنه منفتحًا وحرًا طليقا وليس قائمًا أو معتمدًا على مجموعة من القواعد والمبادئ المجردة؛ إنه نشاط قائم على الممارسة، إنه يعبر عن حياتنا المشتركة وعن وجودنا معًا، ومعنى ذلك أن التفكير والتواصل وجهان لعملة واحدة يعبر كلٌ منهما عن الآخر؛ فإذا لم يتمكن التفكير من أن يحقق التواصل بين البشر فمعنى ذلك أن التفكير ابتعد عن مهمته الأساسية وأصبح أي شيء آخر غير كونه تفكيرًا؛ لأن التفكير يتم التعبير عنه من خلال مواقفنا الحياتية، ومن خلال تفاعلنا وتواصلنا مع الآخرين، وإنه لم ولن يكن أبدًا بناءً مستقلًا منعزلًا عن الآخر، وإنني اتفق معه في ذلك؛ فإن المبالغة في القول باستقلالية التفكير، والقول بأن له قواعد ومبادئ ثابتة وأن هناك أناسًا متخصصين فيه خلق لنا التعصب الفكري والمتمثل في التحيز لمجموعة من الأفكار بعينها؛ لأنها قامت على قواعد ومبادئ محسوبة ومدروسة، ونتج عن ذلك تعصب فكري والذي بمقتضاه تمسك كل مفكر بأفكاره ورأى أنها تعبر عن قواعد ومبادئ التفكير السليم دون سواها، وأن كل الأفكار الأخرى لم

يتمكن أصحابها من استخدام قواعد ومبادئ التفكير بشكل سليم، ونتج عن هذا التعصب الفكري تعصب في الآراء فتمسك كل مفكر بآرائه باعتبارها نتاج لهذه الأفكار السليمة القائمة على مبادئ وقواعد يقينية، ولكن واقع الحياة التي نحياها يؤكد لنا أنه ليس هناك حدود منغلقة سواء كانت قواعد أو مبادئ أو أطر ثابتة جامدة؛ الحياة يحدث بها كل يوم جديد، وبالتالي فإنها تتسم بالاستمرارية والتجديد؛ كل يوم يكتسب الأفراد خبرات ويتعرضون لمواقف وتجارب مختلفة تغير تفكيرهم وتجدده وتنشطه، ومعنى ذلك أن التفكير مرتبط بالحياة وليس بعيدًا عنها؛ إن حياتنا وواقعنا وأقوالنا ومواقفنا وخبراتنا هي التي ينتج عنها أفكارنا وليس العكس، هذه الأفكار لا تأتي من فراغ؛ وإنما تكون المحصلة الناتجة من تفاعلنا وتواصلنا، ومن مشاركتنا معًا في بناء حياة مشتركة تضم الجميع، وبالتالي فإن التفكير والحياة يعبر كلٌ منهما عن الآخر؛ فالتفكير دون الواقع ودون الحياة يتحول إلى شيء فارغ من كل مضمون، وهذا ما دفع لادن إلى وصف التفكير بأنه تواصلٌ اجتماعيٌ؛ إنه اجتماعيٌ بمعني أنه مرتبط بالحياة التي نحياها وليس بالفردية الانعزالية المستقلة، وبذلك يكون التفكير بعيد كل البعد عن الأطر والقواعد الجامدة والمنغلقة؛ إنه منفتح على الحياة بكل أحداثها، بكل وقائعها، بكل تجديداتها، بكل تغيراتها.

وبذلك يتسم هذا التفكير بأنه قابل للنقد، وهنا يظهر تأثر لادن بكانط الذي يؤكد على أن التفكير يجب أن يكون قابل للنقد، وأنه دون قبوله للنقد يصبح أي شيء غير كونه تفكيرًا؛ إنه قابل للنقد الذي يجعلنا نراجع مواقفنا ونعيد النظر في تصرفاتنا وفي أقولنا وأفعالنا؛ إنه النقد البناء الذي يساعدنا على التفاعل والتواصل وليس على التباعد، نقد لا يؤدي إلى التنفير من بعضنا البعض وإنما على العكس من ذلك يكون وسيلة للتقارب بيننا.

إن هذا التفكير يكون أيضًا مرتبط بمشاعرنا وعواطفنا؛ لأن هذه العواطف والمشاعر التي تكون بين البشر ينتج عنها أيضًا أفكارنا؛ فأفكارنا هي أيضًا ترجمة لعواطفنا ومشاعرنا وأحاسيسنا إلى جانب أفعالنا وأقوالنا؛ فهذه العواطف والمشاعر تترجم إلى أفعال وأقوال يتم من خلالها بناء حياة مشتركة.

وبذلك أراد لادن أن يفتح المجال للتعايش والتواصل بين البشر؛ أراد أن تكون هناك فضاءات للفكر، مساحات مفتوحة للتعايش والتواصل والتآلف بين البشر، وهذا لا ينفي أن يكون التفكير تفكيرًا منطقيًا فيفرق لنا لادن بين التفكير المنطقي والتفكير المجرد: التفكير المجرد القائم على قواعد وحسابات مجردة بعيدة عن الواقع الفعلي أما التفكير المنطقي يكون له قواعد ومبادئ أيضًا للتفكير السليم، ولكن هذه القواعد والمبادئ تكون مرتبطة بالواقع والحياة؛ إنها قواعد ومبادئ يضعها الأفراد بأنفسهم من خلال تفاعلهم وتواصلهم المشترك؛ إنها تكون نتاج مواقفهم وخبراتهم وتجاربهم وبالتالي فإنها تكون مرتبطة كليةً بالواقع المعيش، ومعنى ذلك أن التفكير بوصفه تواصلًا اجتماعيًا لا يتعارض مع القواعد أو المبادئ، ولكن هذه القواعد والمبادئ لا تكون ثابته أو جامدة، ولا يتم فرضها على البشر من خلال أوصياء ومن خلال مفكرين بعينهم يضعوا قواعد التفكير المنطقي التي يجب على الجميع الالتزام بها؛ إنها قواعد مرنة ومفتوحة وقابلة للنقد، قواعد يصل إليها الأفراد بأنفسهم من خلال تفاعلهم وتواصلهم ومشاركتهم في صنع حياتهم المشتركة معًا.

وبذلك رأينا كيف ميز لادن بين نوعين من سلطة التفكير هما: سلطة القيادة، وسلطة الاتصال، وكيف أن سلطة القيادة تعتمد في الأساس على إصدار أوامر وقوانين لا تقبل النقاش؛ أي أنها تعتمد فقط على طاعة الأوامر وتنفيذها ولا يكون فيها مجال للمناقشة أو الحوار وتبادل الأفكار والآراء، وذلك على العكس من سلطة الاتصال التي لا تقوم على القوانين والأوامر؛ وإنما تقوم على تقديم دعوات ومقترحات للأشخاص الآخرين، تعتمد على وجود علاقة متبادلة بين الأشخاص الداخلين فيها، وهذه الدعوات والمقترحات لا تتطلب الطاعة؛ وإنما تتطلب تقديم استجابات من الآخر سواء بالقبول أو الرفض أو تقديم مقترحات أخرى، ومعنى ذلك أن سلطة القيادة هي سلطة انفرادية أما سلطة الاتصال فهي سلطة جماعية تعتمد على النحن وليس على الأنا كما هو الحال في سلطة القيادة، وإن كنت اتفق معه في مضمون هذه التفرقة فإنني لا اتفق معه في استخدام كلمة سلطة فيما يتعلق بالاتصال، فإن هذا الاستخدام غير موفق إلى حد كبير؛ لأن كلمة سلطة تعتمد في

الأساس على وجود قواعد وقوانين أساسية تحكم علاقات الأفراد الداخلين في هذه السلطة وتتوجب الالتزام بها وعدم الخروج عليها، لذلك كان من الأفضل استخدام عبارة علاقة الاتصال بدلًا من سلطة الاتصال؛ لأن ذلك يؤكد أكثر على وجود المشاركة وعلى وجود العلاقات المتبادلة، على تقديم استجابات على دعوات ومقترحات وليس أوامر وقوانين، وبذلك فإن كلمة سلطة لا تتناسب مع كلمة اتصال، وأن كلمة علاقة تعبر أكثر عن الاتصال وعن المشاركة، وعن انفتاح المحادثات وتبادل الأفكار وتنوع الآراء، لذلك تكون ملائمة أكثر لكلمة الاتصال وليس كلمة السلطة التي تكون ملائمة أكثر لكلمة القيادة التي لم تكن موضع قبول من قبل لادن.

2- **المحادثة والتواصل.**

يرى لادن أن المحادثة العادية هي الوسيلة التي يمكن أن يتم التعويل عليها لتحقيق تواصل مشترك؛ إنها الطريقة التي يمكن أن يتم من خلالها تبادل الأفكار والتفاهمات والمشاعر والرغبات، إنها لا تسعى إلى تحقيقي أهداف صارمة؛ وإنما تكون غايتها الأساسية هي تحقيق هذا التواصل المشترك.

وفي ضوء ذلك يرى لادن أن المحادثة هي نشاط نتحدث فيه مع الآخرين؛ إنها تختلف عن المحادثة المتعارف عليها في الأدب الفلسفي والتي تقوم في الأساس على استنتاج مفاده: أننا نتحدث فقط مع الآخرين عندما يكون لدينا غرض نسعى إلى تحقيقه مثل الوصول إلى قرار مشترك، أو تمرير معلومات، أو إقناع شخص ما بشيء ما، لكن إذا نظرنا إلى معظم الأوقات التي نقضيها في المحادثة نجد أنه لا يكون لها مثل هذه الأهداف المحددة بعينها؛ إن أغلب هذه المحادثات يكون في إطار المحادثة العادية الخالية من مثل هذه الأهداف، ومع ذلك نجد أنها تلعب دورًا أساسيًا في حياتنا المعيشية؛ إنها الأداة الحية التي نتمكن من خلالها من تبادل الأفكار التي تساعدنا على العيش معا، وفقًا للصورة الاجتماعية للتفكير فإن التفكير هو نوع من أنواع المحادثة إذًا ما يميز هذه الصورة يصبح أكثر وضوحًا إذا كان تركيزنا موجه نحو المحادثة بشكل عام، نظرًا لأن المحادثة

العادية لا تُعتبر عمومًا موضوعًا للاهتمام الفلسفي يجب أن يتم وضعها في الاعتبار بشكل أوضح، يمكننا بعد ذلك أن نرى كيف يمكن أن تكون مزاياها موقعًا عمليًا لإبراز نشاط التفكير.[1]

على الرغم من أن النهج النظري يمنح أهمية كبيرة للحوار، فإن ما يركز عليه في الأساس هو وضع نظرية للحوار وليس المشاركة في الحوار، ولكن من خلال التحول العملي نحو المحادثة العادية يقدم المرء إسهاماته في الحوار، وبذلك يكون من النتائج المهمة للمشاركة في المحادثة العادية بدلًا من التنظير لها أنه يمكن للمرء المساهمة في المحادثة العادية دون التعويل على أي نظرية كاملة بشأنها أو الاستناد إلى أسس فكرية صارمة بعينها، يحتاج المرء فقط أن يكون لديه ما يقوله والقدرة والرغبة في سماع ما يقوله الآخرون.[2]

وهنا يؤكد لادن أن المحادثة العادية لها ثلاثة محاور أساسية: المحادثة العادية لا حصر لها، وأنها تتسم بالمرونة، وأنها تكون في الأساس مستندة على تناغمنا مع بعضنا البعض، وفيما يتعلق بأن المحادثة العادية لا حصر لها نجد أنها لا تهدف إلى القيام بشيء بعينه أو الوصول إلى أي مكان محدد على وجه الخصوص: إنها تتسم بالاستمرارية وبالتالي لا يكون لها نهايات محددة بعينها.[3]

ومن هنا تمثل المحادثة العادية أحد الأنشطة الهامة في حياة كل شخص، إذاً هذه المحادثة هي بشكل عام واحدة من الأنشطة الأكثر أهمية التي ننخرط فيها بوصفنا كائنات منطقية؛ إنها شكل من أشكال التفاعل المستمر وبالتالي لا يمكن أن تسير على وتيرة واحدة.[4]

---

[1]- Anthony simon laden ,reasoning a social picture, p,79.

[2]- Anthony Simon Laden ,The Key to/of Public Philosophy , Political Theory, p.115

[3]-Anthony simon laden ,reasoning a social picture ,p.82

[4]- Ibid ,p.83

إن جعل المحادثة مرتبطة بتحقيق أهداف محددة يعني أنها تنتهي بتحقيق هذه الأهداف، وبالتالي تكون غايتها تحقيق هذه الأهداف وليس تبادل الأفكار والتفاهمات التي يمكن من خلالها تحقيق تفاعل وتواصل مشترك، أما في حالة المحادثة العادية فإن مثل هذه المحاولات لمواصلة الحديث هي القاعدة وليست استثناءً غريبًا؛ إذا انتهى موضوع المحادثة فإننا ننتقل إلى مواضيع أخرى لكي تستمر المحادثات ولا تتوقف.[1]

ومعنى ذلك أن التركيز في المحادثة يكون على المشاركة في النشاط وليس على دوافع المشاركين فيه، وهذا لا يمنع أنه في ثنايا هذه المحادثات تتحقق أهداف وغايات المشاركين فيه؛ أي أن المحادثات لا تتنافى مع الأهداف والغايات التي نسعى إلى تحقيقها ولكنها ليست الأساس الوحيد الذي يتم التعويل عليه للدخول في مثل هذه المحادثات التي تسعى في الأساس إلى وجود تفاعل وتواصل حقيقي مشترك نتمكن من خلاله من تبادل أفكارنا وأقوالنا وأفعالنا.[2]

وهذا لا يؤدي إلى القول بأن هذه المحادثات تكون خالية من القواعد والتوجيهات؛ إن كل ما يمكن التأكيد عليه هو أن هذه القواعد والتوجيهات التي تقدمها ليست مرتبطة ولا تستمد سلطتها من بعض الغايات الشاملة التي تسعى إلى تحقيقها؛ إنها تكون نتاج تفاعل مفتوح ومستمر على الدوام، إن هذا الحوار المفتوح غير المحدود هو ما يجعلها سياقًا مفيدًا في نشاط التفكير، إذا كان التفكير المنطقي عبارة عن نوع من المحادثة فيمكننا إذًا تصور نشاط التفكير دون الحاجة إلى وصفه بأنه موجه نحو هدف بعينه، وبالتالي فإن إيلاء المزيد من الاهتمام لطبيعة وقواعد المحادثة العادية يجعل من الأسهل تقدير الدور الذي تلعبه الأفكار في الحفاظ على صلاتنا المرتبطة وتشكيلها وبناء الفضاء الاجتماعي الذي نعيش فيه حياتنا معًا وهو نشاط لا يتم توجيهه نحو هدف بعينه ولا يكون به نقطة توقف نهائية .[3]

---

[1]- Ibid ,pp.83,84.

[2]- Ibid ,p.84

[3]- Ibid ,pp.84,85

وهنا يظهر تأثر لادن بفريدريك هايك الذي رأى (Friedrich August Von Hayek)(1899 – 1992) أن رفاهية الملايين وسعادتهم لا يمكن أن تقاس بمقياس واحد، فهذه الرفاهية والسعادة تعتمد على أشياء كثيرة للغاية ولا يمكن أن يعبر عنها من خلال غاية واحدة.[1]

كما أنه تأثر أيضًا بميشيل أواكشوط وذلك في تأكيده على أن الحياة هي الحوار؛ فإن الحوار هو فن وأنه في اعتقاده أكثر كل الفنون تحضرًا[(2)]، إن الحوار ينبع من ملاحظة السعادة في التحدث؛ إنه يظهر عندما يتم الانغماس في التحدث من أجله هو ودون دافع خفي، ويكون متحررًا من عبودية انتظار موضوع ملائم أو سيد أو هدف محدد بعينه.[(3)]

وفيما يتعلق بالتأكيد على أن المحادثة العادية تترك مجالًا للمرونة: نجد أنه على الرغم من أن المحادثة هي نشاط محكوم بالقواعد إلا أن قواعدها لا تصر بشدة على أن المرء يجب أن يلتزم بها على الدوام، في سياق محادثة عادية قد نجرب الأشياء أو نقول شيئًا لأنه مسليًا أو مرغوب فيه أو للاستمرار في المحادثة دون تبني مواقف محددة صارمة للدفاع عنها.

إن وجود المرونة في المحادثات العادية يكون له نتيجتان هامتان: أولًا: أنه يوفر نوعًا من الحرية في تفاعلاتنا التي تتيح لنا استخدام تلك التفاعلات للتعبير عن علاقتنا المتبادلة، ثانيًا: تعطينا إمكانية التحدث بمرونة القدرة على إعادة ترتيب وتغيير مساحات الأفكار التي نعيش فيها دون التخلي عنها أو البحث عن بعض الأسس الثابتة الخارجة

---

[1]- ف . أ . هايك، الطريق إلى العبودية، ترجمة: محمد مصطفى غنيم، القاهرة، دار الشروق، 1994، ص 76.

[2]– Michael Oakeshott, The Voice Of Conversation In The Education Of Mankind In What Is History ? And Other Essays, London: Imprint Academic, 2004, P.187.

[3]-Ibid, P.187.

عنها من أجل الحكم عليها، وبالتالي يمكننا قبول أو رفض مواقف وأفكار بعضنا البعض دون أن يترتب على ذلك فقدان علاقتنا المتبادلة.[1]

وليس معنى القول أن المحادثة العادية لا تكون لها قواعد صارمة بعينها أنها تتنافى مع تحمل المسؤولية؛ فإننا في سياق هذه المحادثات نكون مسؤولين عن ما نقوله وعن الأفكار التي نقدمها ونقف ورائها، وإن هذا يجب أن يكون لأننا نتحمل مسؤولية مواقفنا بأنفسنا؛ إذا لم يكن هناك ما يربطنا بكلماتنا فيجب علينا أن نجعل كلماتنا هي الرابط بيننا، يجب أن نسعى إلى الوقوف وراء ما نقوله.[2]

كذلك لا يعني القول أن مثل هذه المحادثات العادية لا يكون لها أهداف محددة بعينها أنها تكون بلا معنى، وهنا يظهر تأثر لادن بفتجنشتين الذي رأى أنه لكي أفهم ما قلته عندما تقول شيئًا ما، فأنا بحاجة إلى معرفة ليس فقط ما تعنيه الكلمات التي تتحدثها، ولكن ما الذي تقصده عند نطقها هنا والآن بالنسبة لي، أي أن هناك فرقًا بين معرفة معنى كلماتك ومعرفة ما تقصده في نطقها، ولا يمكنني تحديد هذا الأخير إلا إذا كنت تعرف ما الذي تقصده عندما تقوله؛ أستطيع أن أعرف ما تعنيه كلماتك من خلال البحث عنها في القاموس لكن هذا لن يخبرني ماذا تقصد بالنطق بها، ومعنى ذلك أن السياقات هي التي تجعل هذه الجملة ذات معنى وتجعل منها شيئًا ذا معنى، بالنسبة للمتحدث سيكون هناك معنى لقول هذه الكلمات في تلك السياقات.[3]

وهنا يؤكد فتجنشتين أن اللغة الخاصة مستحيلة ويعني بها حديث الإنسان لنفسه في صمت وأن الحالات الشعورية النفسية للفرد لا يعرفها إلا صاحبها– فقد رأى أن هذه اللغة غير ممكنة وأن هذه المعرفة الاستبطانية للذات وهم وخداع .ولابد وأن يعبر عن الحالات النفسية في سلوك وإلا لا معنى للحديث عنها .[4]

---

[1]- Anthony simon laden ,reasoning a social picture .pp.85,86

[2]- Ibid ,p.87

[3]- Ibid ,pp ,89,90

[4]- محمود فهمي زيدان, في فلسفة اللغة , دار النهضة العربية للطباعة والنشر ,بيروت ,1985 , ص52

كما يظهر أيضا تأثر لادن بهابر ماس الذي رأى أن اللغة هي وسيلة التفاهم والحوار وهي القاعدة الأساسية للتواصل بين أفراد المجتمع في ظل عالم معاش جيد . [1]

يتضح من ذلك أن معنى ما نقوله يعتمد على التعامل مع كلامنا على أنه فعل مثل فعل شيء ما، وهذا يختلف عن الانخراط في المحادثات الموجهة نحو أهداف محددة حيث يتم تعيين مساهماتنا من خلال تحقيق هدف المحادثة.[2]

ومعنى ذلك أن الاستمرار في المحادثة يأتي من كون كل شخص شريك فيها؛ أي أنه من خلال هذا التفاعل يتم صياغة وتطوير وتحديد شكل وقواعد المحادثة، وهذا يعني أنه عند الانخراط في مثل هذا الحديث فإننا نختبر الدرجة التي يمكن أن نتحدث بها مع الآخرين وإلى أي درجة نحن على استعداد للسماح لهم بالتحدث معنا ومن أجلنا، وبالتالي يمكن أن نرى أن الاهتمام بالمحادثة العادية سيكون وسيلتنا لتطوير صورة اجتماعية حقيقية عن التفكير من خلال التفاعل حيث يمكننا التحدث عن بعضنا البعض ونحدد الأفكار التي من المحتمل أن نشاركها؛ إن كلماتنا بمثابة اكتشاف للأفكار التي لدينا، وهكذا تبدو المحادثة العادية وكأنها ستلعب دورًا مهمًا في تحديد مساحات الأفكار التي نعيش فيها .[3]

وبذلك تصبح المحادثة غير الرسمية موقعًا ذا أهمية عقلانية؛ لأنه من خلال مشاركتنا فيه نعمل على بناء أنفسنا ووضعها ضمن فضاء من الأفكار، ولكن على الرغم من أن هذا نتاج محادثة غير رسمية فإنه ليس غاية النشاط ولا حتى بالضرورة الهدف الذي لدينا للدخول في مثل هذه المحادثات.[4]

---

[1] -أبو النور حمدي أبو النور, يورجين هابر ماس | الأخلاق والتواصل , ص 133

[2]- Anthony simon laden ,reasoning a social picture .p.90

[3]- Ibid ,pp.93,94.

[4]- Ibid ,p95

عندما نتبادل الأفكار من خلال المحادثة العادية فإننا نعتقد أنها تستحق تقديم استجابات معقولة؛ أي أنها تستحق أن يتم أخذها بمحمل الجد لأنها وسيلتنا للعيش معًا.[1]

وبذلك يقوم كل منا ببناء مساحة من الأفكار التي نشترك فيها معًا بحكم علاقتنا المتبادلة من خلال تقديم استجابات معقولة لبعضنا البعض في عملية بناء تلك العلاقة وتطويرها والحفاظ عليها، وهي عملية تشمل على سبيل المثال لا الحصر حلقات من المحادثات المعقولة والتي تتشكل من خلال إدراكنا المشترك لأنواع المطالبات التي يمكن أن تدعمها، ويتم النظر إلى هذه المطالبات على أنها أفكار تحصل على الدعم المناسب لها من فهمهم المشترك لعلاقاتهم المتبادلة، هذا الفهم هو بالتحديد ما يتم بناءه والحفاظ عليه.[2]

وهكذا مرة أخرى ستكون هذه المحادثات مثمرة لإيجاد أفكار لا تطمح إلى أن تكون حاسمة؛ إنها تتعامل مع المساحات التي نشاركها ليس كأدوات ولكن كخلفية والتي نعيش فيها حياتنا معًا، ومع ذلك لأن المحادثة غير الرسمية تكون محادثة عادية فإنها تترك مجالًا للضحك أو لتقديم طرق جديدة لرؤية أو شغل أو تشكيل مساحات الأفكار التي نعيش فيها والتي يمكن أن تتغير دون الإساءة إلى علاقاتنا أو تعطيلها؛ إنها تتيح لنا فرصًا منخفضة التكلفة لمحاولة إعادة تشكيل تلك المساحات، وفرص منخفضة التكلفة للآخرين إما لقبول التغييرات المقترحة أو تجديدها، في الوقت نفسه توفر لنا الفرصة لتحمل مسؤولية عهودنا، وبالتالي المشاركة بشكل كامل في العرض المتبادل والمفتوح للدعوات من أجل التحدث مع بعضنا البعض، أخيرًا نظرًا لأن المحادثات غير الرسمية تخدم بناء علاقاتنا وتطويرها وتشكيلها فإن معنى واستيعاب ما نقوله لبعضنا البعض ليس فقط ملاءمة النظر في غاية معينة، بل السؤال الأفضل متى وكيف يمكننا التحدث مع بعضهم

[1]-Anthony Simon Laden, Negotiation, deliberation, and the claims of politics, in Multiculturalism and Political Theory, p208.

[2]- Anthony Simon Laden, Outline of a Theory of Reasonable Deliberation ,p.564

البعض، كل هذا إذًا يقترح الانفتاح على فكرة أن شيئاً ذا أهمية عقلانية أساسية يحدث في محادثة غير رسمية.[1]

يتضح من ذلك أن المحادثة العادية تقوم على مجموعة من المعايير ولكن هذه المعايير يكون محتواها وسلطتها نابعة من المشاركة في النشاط نفسه وليست من اعتبارات خارجية مستقلة عن النشاط ذاته، وبالتالي على عكس الأنواع الأخرى من المعايير فإنها لا تمثل قيودًا خارجية على الشخص الذي يشارك في هذا النشاط التفاعلي.[2]

وفي هذا الإطار يرى لادن أننا عندما نشكل علاقاتنا نتعهد بالتزامات معيارية: التزامات بالنظر إلى مطالبات معينة للآخرين على أنها أفكار مقدمة لنا، إن إحدى النتائج المترتبة على الوفاء بهذه الالتزامات المعيارية هي أننا وصلنا إلى أهداف جديدة، ومع ذلك يُنظر إلى هذه الغايات على أنها أفضل نتيجة لالتزاماتنا وليست مصدر تلك الالتزامات أو سلطتها، وبذلك يمكن النظر إلى الغايات على أنها منتج ثانوي للنشاط وليست الأساس الذي يقوم عليه هذا النشاط التفاعلي.[3]

وبذلك تتسم المحادثة العادية بمجموعة من الميزات :أولاً: يجب على المشاركين في محادثة ما أن يصلوا أو يعتمدوا على أشكال معينة من الاتفاق حول معنى الكلمات وصلاحياتها، وأن يكونوا قادرين على إيجاد طرق للاتفاق حيثما تكون غير موجودة، ثانياً: المحادثة بلا هدف محدد ولكن تكون بها قواعد تحكم كيفية ممارسة النشاط وتشكل أيضًا كيفية سير العملية التفاعلية المشتركة، يشكل هذان المعياران الأوليان معًا نوع الوحدة التي تميل المحادثات إلى إنتاجها بين المشاركين، ثالثًا: تنطوي المحادثة على التحدث مع الآخرين بدلاً من مجرد التحدث إليهم، ومن ثم فهي تختلف عن أشكال العناوين أحادية الاتجاه بما في ذلك القيادة وإلقاء المحاضرات والتعليقات حتى عندما يتم تنفيذ هذه الأنشطة من قبل جميع أطراف التفاعل.

---

[1]- Anthony simon laden ,reasoning a social picture ,pp98,101

[2]- Ibid ,p106.

[3]- Anthony Simon Laden, Outline of a Theory of Reasonable Deliberation ,p565

نتيجة لذلك تتطلب المحادثات مستويات معينة من المساواة وتميل إلى الازدهار بشكل أكثر اكتمالًا وسهولة عندما يتم ترسيخ تلك المساواة ودعمها، أخيرًا على الرغم من أن المحادثة العادية تتسم بالمرونة فإنها تتطلب مستوى معينًا من الإخلاص حتى نتمكن من بناء علاقاتنا والحفاظ عليها، تساعد نماذج الوحدة والاتفاق والاستجابة هذه في تشكيل الصورة الاجتماعية الكاملة للتفكير التي يتحقق من خلالها التواصل المشترك، وهذا يعني أنه من أجل التحدث يتعين علينا أن نجعل أنفسنا واضحين لبعضنا البعض، هذا يتطلب أن ما نقوله يكون واضحًا للآخر، وهذا يتطلب أيضًا أن تتفهم وجهة نظري في قول هذه الكلمات هنا والآن.[1]

من هنا تتطلب المحادثة العادية الوضوح المتبادل حول معاني الكلمات والمصطلحات حتى لا تنصرف إلى الأغراض اللغوية، وبالتالي لن تكون ممارسة نشاطٍ اجتماعي، إن حديثنا مع بعضنا البعض طالما أن ذلك ينطوي على وضوحنا المتبادل يتطلب منا مشاركة جزء من التضاريس المفاهيمية ، وهذا ما نحققه عندما نشارك أو نوافق على معاييرنا.[2]

إن اتفاقنا حول معاييرنا ومفاهيمنا واسع وعميق، وبالتالي فإن التحدث مع بعضنا البعض إلى حد ما هو النشاط الأكثر شيوعًا في العالم، ومع ذلك هو أيضًا اتفاق يمكن أن ينهار في مرحلة ما من تفاعلنا إذا رفضنا إبرام مثل هذه الاتفاقيات المفاهيمية أو إذا وجدت أن معاييري لا تتفق مع معاييرك فلن نتحدث بعد الآن، لذلك حتى لو كان نشاط المحادثة يميل إلى دفعنا إلى إبرام اتفاقيات في استخدامنا للكلمات والمفاهيم فإن وضع مثل هذا الاتفاق والاعتراف به هو قاعدة مميزة للمشاركة في المحادثة، بدون مثل هذه الاتفاقيات يتوقف الحديث عن التدفق بسلاسة، في حالة عدم وجود مثل هذا الاتفاق لا يقتصر الأمر على أن تكون محادثتنا متوقفة وعديمة القيمة ولكنها لا تكون محادثة حقيقية على الإطلاق.

---

[1]- Anthony simon laden ,reasoning a social picture ,p.110.

[2]- Ibid ,pp.111,113.

إن أحد الأشياء التي تدعم الاتفاق المفاهيمي هو وجود خلفية أوسع للاتفاق فيما أسماه فيتجنشتين "أشكال الحياة"؛ من أجل الاتفاق على شكل من أشكال الحياة يسعى شركاء المحادثة إلى إيجاد وبناء أرض أكثر واقعية ذات اهتمام مشترك ومواقف يتم دعمها من قبل بعضهم البعض، وهذا لا يعني أنه يتعين علينا أن نبدأ من التوصل إلى اتفاق سواء حول الاستنتاجات أو القرارات المفصلية أو حول الالتزامات النظرية أو الأخلاقية الواسعة النطاق فإن هذا ليس من شان المحادثة العادية؛ إنها لا تهدف إلى التوصل إلى استنتاجات أو قرارات نهائية، وبالتالي لا نحتاج إلى التوصل إلى اتفاق كامل حتى تنجح المحادثة؛ إنها تتطلب مشاركة شكل من أشكال الحياة كما يقول فيتجنشتين اتفاقًا في الأحكام لكنه لا يتطلب اتفاقًا في جميع الأحكام والتي من المهم أن تكون قيد المناقشة، إن القواعد التي تحكم مشاركة المعايير لا تكمن فقط في خلفية إمكانية التحدث لدينا، ولكن أيضًا دفع نشاط المحادثة نفسه إلى أشكال مميزة معينة.

تتطلب المحادثة أن نحافظ على نوع من المشاركة مع بعضنا البعض، وهذا يتطلب بذل جهد من جانب كل واحد منا للتكيف مع الآخرين؛ يجب على الفرد أن يعبر عن مخاوفه ومشاعره واهتماماته بطريقة تجعلها قابلة لتقديم استجابات من قبل الآخرين كمصدر للمشاركة المناسبة، وهذا الالتزام الرئيسي بالتفاعل الفردي متوازن مع حقه في توقع أن يبذل الآخرون الحاضرون بعض الجهد لإثارة تعاطفهم وتفهمهم لموقفه، لذا فإن نشاط التحدث مع الآخرين يتحول إلى دفعنا نحو نوع من التعايش معهم بشكل واسع النطاق.[1]

ويأتي الاهتمام بالتحدث معًا كما هو الحال في الموسيقى من التوافقيات والخلافات من تفاعل الأصوات المختلفة، من حقيقة أن المحادثة العادية تتميز بالنشاط المستمر للتحدث مع الآخرين، وبالتالي فإنها تولد قاعدة من التناغم؛ في المحادثة نحن نعمل على وضع أنفسنا في تفاعل مع شركائنا حتى نكون متناغمين مع بعضنا البعض وليس حتى يتسنى لنا ان نتفق على كل شيء؛ لكن يكفي أن نواصل الحديث مع الآخرين،

[1]- Ibid p,113,114

إن قدرتنا على تحقيق هذا النوع من التوفيق تتطلب منا الانفتاح والتأثر بما يقوله شركاء المحادثة؛ إذا كنت أتبادل الكلمات معك ولا أرغب في أن أتأثر أو تتأثر بما أقوله بالقدر الضروري حتى تكون قادرًا على الاستمرار في التحدث معي فإننا لا نتحدث.[1]

ومعنى ذلك أنه إذا كانت المحادثة العادية ترتبط بشكل أساسي بمساحات الأفكار التي نعيش فيها معًا فيمكننا عندئذٍ مشاركة هذه المساحات بشكل مختلف؛ فبدلًا من البحث عن لحظات من الاتفاق الكامل والتوحيد كعلامة على تناسق المجتمع أو على أرضية مشتركة يمكننا أن ننظر إلى النموذج الآخر المتمثل في القدرة على الاستمرار في التحدث مع بعضنا البعض، قد يوفر ذلك طريقة تفكير جديدة لجميع أنواع الكيانات التي كانت وحدتها موضوعًا للقلق الفلسفي من الدول والمجتمعات إلى الأفراد.[2]

من ناحية أخرى فإن أحد الأشياء التي تميز محادثة مختلفة عن تقديم التقارير أو إلقاء المحاضرات أو إصدار الأوامر هو أن جميع المشاركين لديهم مطالبة بالتحكم في اتجاه ما يقال؛ يجب أن يكون هناك بعض من التأثير المتبادل في عملية التناغم ونحن نواصل الحديث.[3]

تعتمد الأرضية الوسطى التي يمكننا من خلالها التحدث بصدق مع بعضنا البعض على موقفين: الاحترام والثقة: إن معاملتي لما تقوله على أنه شيء يمكن أن يحركني هي إحدى الطرق التي أبدي بها الاحترام لك كشخص تستحق كلماته أخذها على محمل الجد حتى لو بدا لي في البداية غير مألوف أو يصعب فهمه، لكنه يتطلب أيضًا أن أثق بك على سبيل المثال لست قلقًا من أنك ستستخدم قدراتك لتحريك ما اقوله للتلاعب بي بكلماتك، إن المشاركة في محادثة حقيقية لأنها تتطلب الانفتاح على التأثر بالآخرين تتطلب التخلي عن الحذر المبالغ فيه والذي يجعلنا عرضة للخطر.[4]

---

[1]- Ibid ,p.115,116

- Ibid ,p.117[2]

[3]- Ibid ,p.121

[4]- Ibid ,p.123

ومن هنا فإن إحدى الطرق التي تظهر بها اللامساواة الاجتماعية هي تقويض الانفتاح على التأثير المتبادل أو عرقلة الظروف التي تتيح هذا الانفتاح، ويصدق هذا بشكل خاص في الحالات التي يمكن فيها فهم عدم المساواة المذكور على أنه عدم مساواة في السلطة؛ حيث يكون أحد خصائص النظام الاجتماعي أن يتمتع البعض بالسلطة على الآخرين، وأن الأشخاص ذوي القدرة على اتخاذ القرار من جانب واحد يقررون نيابة عن الآخرين، وبالتالي لا يكون هناك وجود للتفاعل بين المجموعات ذات المستويات المختلفة من التناغم والحركة، وبالتالي لن يكون هناك أي وجود للتأثير المتبادل.[1]

على النقيض من ذلك نجد أن تبادلنا للكلمات يقودنا إلى علاقات مع بعضنا البعض؛ حيث يمكننا أن نكون واثقين بشأن أي من الأفكار التي نشغلها جميعًا، هذه الثقة تتيح لنا تقديم دعوات تبدو حقيقية للتحدث عن الآخرين، وبالتالي قد يكون من المغري أن نقول إن هذا التناغم بغض النظر عن كيفية حدوثه يتركنا نتقاسم مساحات من الأفكار ونحتلها معًا، وبالتالي يمهد الطريق للتصرف بشكل مثمر.[2]

وهذا يعني أن ما يجعل بعض التفاعلات غير عادلة هو مسألة ماهية البدائل المتاحة لكل واحد من المشاركين وعواقب اختيار تلك البدائل عليهم، ومعنى ذلك أن التفاعلات يمكن أن تكون عادلة فقط إذا كانت تحدث في جو يؤدي إلى وجود هذه التفاعلات العادلة.[3]

إن العقبات التي تحول دون إجراء محادثة حقيقية والتي تتمثل في عدم المساواة في السلطة تعمل عن طريق تقويض معاييرنا، وبالتالي فإن الاستجابة لهذا التشخيص لا

---

[1]- Ibid ,p 124

-Ibid ,p.124.125[2]

[3]- Anthony Simon Laden , Games Philosophers Play: A Reply to Gauthier ,Wiley, Philosophy & Public Affairs , Vol. 22, No. 1 , Winter, 1993 , p50

ينبغي أن تكون الابتعاد عن المحادثة ولكن العودة إليها؛ لأنه لا يوجد طريق آخر لمجموعة من المصطلحات المشتركة إلا من خلال المحادثة.[1]

إن الإيحاء بأن الممارسات والمؤسسات الاجتماعية يمكنها أن تضع حواجز في طريق التفكير الحقيقي معًا لا يعني الادعاء بأنه لا جدوى من محاولة التفكير معًا قبل أن نصل إلى حالة من العدالة الكاملة، يمكن أن تكون تفاعلاتنا معقولة إلى حد ما ويمكن أن تكون هناك قيمة في العمل لتكون أكثر عقلانية.[2]

لدينا هنا نموذج للمساواة يجعل المساواة ليست مسألة مجموعة ثابتة من المواقف أو توزيعات بعض السلع بل نوعًا من الممارسة؛ أي أن المساواة التي تتطلبها المحادثة ليست هي أن لدينا جميعًا نفس الموارد أو المواقف أو أننا نقف في علاقات ثابتة معينة مع بعضنا البعض؛ بل نعامل بعضنا البعض من خلال الاتفاق على بعض المعايير وقواعد الاحترام والثقة والانفتاح، إن النتيجة المهمة لوجود مثل هذه المعايير ليست أنها يمكن أن توفر لنا طرقًا دقيقة لتقييم أصالة المحادثة؛ بدلاً من ذلك فإن قيمتها تكمن في توجيه انتباهنا إلى مجموعة معينة من الأسئلة والقضايا وسبل التفاعل، ومساعدتنا على ملء صورة عن المحادثة الممتازة وما يثمر عنها.[3]

وعلى الرغم من أن عالمًا بلا محادثة حقيقية سيكون عالمًا مملًا إلا أنه سيكون أيضًا عالمًا لا ننخرط فيه في النشاط ذاته الذي يبني مساحات مشتركة للأفكار، في مثل هذا العالم لا يمكننا العيش معًا ولكن فقط جنبًا إلى جنب؛ يجب أن يكون البناء المشترك وصيانة المساحات المشتركة متبادلين، وبالتالي يجب ألا يتضمن التعبير عن الإقناع فحسب ولكن أيضًا الاستماع اليقظ ومعه القدرة التي تم لمسها والانفتاح على الانتقال من جانب شركاء المحادثة.[4]

- Anthony simon laden ,reasoning asocial picture ,p. 128.[1]
- Ibid ,pp.158,159.[2]
- Ibid ,p.130.[3]
- Ibid ,pp.131,132.[4]

لذلك تتطلب هذه المحادثة الصدق نتيجة لحقيقة أنه للتحدث بصدق مع شخص آخر يجب أن أتحدث بصدق عن نفسي، وذلك سيشجع أيضًا الشخص الذي أتحدث معه في أن يكون صادقًا أيضًا في حديثه عن نفسه.[1]

يشير الإخلاص بالتالي إلى العلاقة بين شخص ما وكلماته؛ حقيقة أنه في نطق هذه الكلمات يتحدثون بصدق عن أنفسهم ويقفون وراء ما يقولون ويتحملون المسؤولية عن المواقف التي يعبرون عنها، الإخلاص هنا ليس مجرد حالة نفسية؛ إنه يكون نتاج تفاعل وتواصل مستمر.[2]

يتضح من ذلك أنه من خلال محادثاتنا غير الرسمية ، نقوم ببناء وتجديد علاقاتنا مع بعضنا بعضًا ونبني وندخل ونجد مكاننا في مساحات مفاهيمية مشتركة يمكننا من خلالها التفكير معًا، توفر مثل هذه المحادثات الخلفية التي نستند إليها في بناء عالمنا المشترك.[3]

وبذلك تحدث لادن عن المحادثة وعن الدور الأساسي الذي تقوم به في ترسيخ دعائم التواصل؛ فقد رأى أن المحادثة العادية هي الوسيلة التي يمكن أن يتم التعويل عليها لتحقيق تواصل مشترك؛ إنها الطريقة التي يمكن أن يتم من خلالها تبادل الأفكار والتفاهمات والمشاعر والرغبات، إنها لا تسعى إلى تحقيق أهداف صارمة؛ وإنما تكون غايتها الأساسية هي تحقيق هذا التواصل المشترك، وأطلق عليها كلمة محادثة وليس كلمة حوار؛ لأن التركيز على الحوارات قد يكون وراءه هدف معين يتم التركيز عليه والسعي إلى تحقيقه من خلال إجراء الحوار، وأنه يركز على كلمة محادثة للتأكيد على أهمية وحيوية المحادثات العادية التي يتبادلها الأفراد مع بعضهم البعض، وقد ركز على المحادثات العادية وليس على المحادثات الرسمية ليخرجنا من إطار الأهداف والمصالح الفردية الضيقة، وليؤكد على أهمية التفاعل والتواصل والذي سوف يتحقق فقط من خلال هذه

---

[1]- Ibid ,p.132

- Ibid ,pp.134,135.[2]

[3]- Anthony Simon Laden , The Key to/of Public Philosophy, p.115.

المحادثات العادية؛ إنها الوسيلة التي ستؤدي إلى التقارب بين البشر وإلى عودة المشاعر الإنسانية والتآلف والتراحم بينهم، هذه القيم الإنسانية التي قل وجودها في أيامنا هذه وحل محلها المصالح الأنانية الضيقة؛ فنجد أن كل فرد يسعى فقط إلى تحقيق أهدافه ومصالحه وحتى عندما يجري حوارات مع الآخرين لا يكون هدفه التواصل معهم؛ وإنما يجري هذه الحوارات من أجل تحقيق أهدافه ومصالحه، وبمجرد تحقيق الهدف أو المصلحة التي يرجوها ينتهي الحوار.

وبذلك أراد لادن أن يخرجنا من دائرة هذه الحوارات التي لا تسعى إلا إلى تحقيق الأهداف والمصالح الفردية الضيقة؛ أراد أن يؤكد على أهمية المحادثة العادية التي تكون أداة فعالة يتم من خلالها التأليف بين البشر الذي تتحقق معه كل القيم والمشاعر والمعاني الإنسانية السامية، أراد أن يشعر البشر ببعضهم البعض، وأن تكون هناك لغة مشتركة تجمع بينهم، أراد أن يكون هناك مودة وتراحم وتآلف بين الناس، لا تكون المعاملة بينهم قائمة فقط على لغة الأهداف والمصالح، لذلك أكد على أن هذه المحادثة العادية ليس لديها أهداف محددة وذلك ليس تقليلًا من قيمة الأهداف ولكن رغبة منه في أن نخرج من هذه الدائرة التي أصبحت محور اهتمامنا.

في أيامنا هذه لم يعد هناك اهتمام بمشاعر الفرد وميوله وأحاسيسه، وإنما كل الاهتمام أصبح منصبًا على هذه الأهداف والمصالح الضيقة الأنانية؛ لذلك أراد أن يفسح المجال للتواصل بين البشر، أراد أن يفتح دائرة التفاعل التي فقدها البشر مرة أخرى، أراد أن يعيد لهم التواؤم والتآلف والتفاهم والتواصل من خلال الأحاديث المباشرة والتي تمكن كل فرد من التعرف على مشكلات الآخر وأزماته ومشاعره وميوله واهتماماته وأحاسيسه، وذلك من خلال التفاعل معه وإشعاره بأنه يهتم لأمره، وأنه يرغب في مساعدته والاستماع له والتواصل معه، وبذلك يشعره بأنه ليس بمفرده في هذه الحياة، وأنه لا يعيش منعزلًا وإنما معه آخرين يهتمون به ويشعرون به ويشاركونه أحاديثه، يشاركونه مشكلاته وأزماته وآلامه ومشاعره وعواطفه، وإنني اتفق مع لادن في ذلك؛ فإننا في هذه الأيام فقدنا الحديث معًا، فقدنا لغة المشاركة معًا، أصبح لكل منا عالمه الفردي المنعزل، وعلى الرغم من أننا نحيا

في هذا العالم الذي يقال لنا أنه أصبح قرية صغيرة، وأن وسائل التكنولوجيا الموجودة قربت بين كل الأفراد في العالم، لكنني لا أرى أن ذلك صحيحًا؛ إننا نعيش في غربة وعزلة لم يسبق لها مثيل فيما مضى، إننا لسنا كما يقال لنا نحيا في قرية صغيرة يجمعنا الترابط والتآلف والتعايش؛ إننا أصبحنا أكثر بعدًا وأكثر غربة وأكثر وحدة وأكثر انعزلًا عن أي وقت مضى؛ لم يعد هناك الأحاديث المشتركة وتبادل أطراف الحديث التي يكون هدفها الشعور والتفاهم والتواصل والتفاعل مع بعضنا البعض؛ فإن هذه الوسائل التكنولوجية التي يتحدثون عنها والتي يزعمون وهمًا أنها تسببت في التقارب والتآلف بين البشر هي في رأيي وسائل للتباعد الاجتماعي وليس وسائل للتواصل الاجتماعي كما يتم تسميتها؛ أصبح كل فرد يتحدث مع الآخر من وراء شاشة بلا روح وبلا حياة وبلا مشاعر وبلا إحساس به وتفهم لموقفه، فأصبحت أحاديث باردة فاترة خالية من التواصل، خالية من الألفة والتراحم والتواؤم بين البشر، ومن هنا فإنني اتفق مع لادن في أننا في حاجة إلى عودة هذه المحادثات العادية التي يتآلف ويتعايش من خلالها البشر ويشعر كلٍ منهم بالآخر ويتفهم موقفه، ويكون سندًا ومعينًا له في حياته.

لذلك كان اهتمام لادن منصب على هذه المحادثات العادية ليس رغبة منه في أن تكون أحاديثنا خالية من الأهداف؛ وإنما أراد أن تكون هذه الأحاديث مهتمة بدرجة أكبر بالقيم والمشاعر الإنسانية، وأن ذلك لا يتنافى مع تحقيق الأهداف المرجوة والتي سيتم إنجازها في غضون هذه المحادثات؛ إن كل ما أراد تأكيده هو ألا تكون أحاديثنا منصبة فقط على تحقيق الأهداف والمصالح الفردية الضيقة، لذلك أكد على أن هذه المحادثات تتسم بالاستمرارية، وذلك على العكس من المحادثات المرتبطة بالوصول إلى قرارات محددة أو تحقيق أهداف بعينها والتي تنتهي بمجرد الوصول إلى القرار أو تحقيق الهدف المرجو؛ فهذه المحادثات تنتهي لتبدأ من جديد لتؤكد على التآلف والتعايش بين البشر، أحاديث تجمعنا في كل الموضوعات لأنها تتسم بالمرونة؛ أي أنها لا تتسم بالجدية الصارمة التي تجعل أحاديثنا جافة خالية من الروح، وهذه المرونة تجعل الأحاديث شيقة وممتعة، وتجعلها تحقق المشاركة والتفاعل والتواصل بين البشر.

ومن هنا أكد لادن على أهم جوانب هذه المحادثة وأهم معاييرها: أن تكون تتسم بالإخلاص؛ أي أن يكون لدى كلٌ منا رغبة صادقة في أن يتفاعل ويتواصل مع الآخر، وأن يشعر به ويهتم لأمره، وأن يكون كلٌ منا لديه رغبة في إنجاح هذه المحادثات واستمرارها لكي تحقق القيم الإنسانية السامية والتي يكون من أبرزها الاحترام والثقة المتبادلة، وأن يكون هدفها الوئام والسلام والتفاعل والتواصل بين البشر، أراد لادن أن نتخلص من غربتنا وعزلتنا، وأن نعود إلى عالمنا المشترك، وأن يكون بيننا مساحة للتفاهم والحديث والتواصل المشترك.

وبذلك سيشعر كلٌ منا بأن له قيمته وأهميته، وأنه يتم الاستماع له جيدًا، وأن له صوت ووجود حقيقي، وأنه يتساوى مع الآخرين ويشاركهم في صنع هذا العالم الذي نحيا فيه معًا؛ فمن خلال فلسفة التواصل نعلم أن هذا العالم هو عالمنا جميعًا وأننا نشترك في رسم معالمه، أننا نشترك جميعًا في هذه الحياة ونتقاسم مسؤوليتها وأعبائها معًا دون سلطة الرئيس والمرؤوس والقائد والمقاد؛ وإنما حياة مشتركة نصنعها معًا من خلال تواصلنا وتفاعلنا المستمر.

3- السياسة والتواصل من المفاوضات إلى المداولات:

يرى لادن أنه لكي يكون هناك تواصل مشترك حقيقي يجب أن تخرج السياسة من دائرة المفاوضات السياسية إلى دائرة المداولات السياسية؛ لأنه في ظل المفاوضات لا يكون هناك أي وجود للتفاعل والتواصل المشترك وذلك لأن كل طرف يسعى إلى فرض هيمنته على الأطراف الأخرى ويرغب في تحقيق مصالحه دون النظر إلى مصالح الآخرين، لذلك نجد أن هذه المفاوضات تكون نتيجتها غالبًا الفشل؛ لأن كل طرف ينظر إلى الأطراف الأخرى على أنها عقبة في طريقه يجب أن يتم التخلص منها، وبالتالي تنتهي المفاوضات دون التوصل إلى أي حلول حقيقية تساهم حقًا في علاج المشكلات والأزمات التي يتم عقد المفاوضات من أجل الوصول لحلول لها؛ وإنما على العكس من ذلك تتفاقم المشكلات وتتزايد حدة الصراع، وذلك على العكس من المداولات السياسية التي

يمكن أن يتحقق في ظلها تفاعل وتواصل مشترك حقيقي؛ لأن الأطراف الداخلين فيها ينظرون إلى أنفسهم على أنهم مجموعة من الشركاء يتقاسمون معًا مسؤولية إيجاد أرضية مشتركة تمكنهم حقًا من إيجاد حلول فعالة حقيقية للمشكلات والأزمات المطروحة؛ وذلك لأن لديهم رغبة صادقة وإرادة حقيقية في أن يفكروا معًا ويتحدثوا معًا وتتضافر جهودهم من أجل بناء عالم مشترك يمكن أن يتعايش فيه الجميع.

وفي ضوء ذلك يرى لادن أن الاتفاقيات التفاوضية هي حلول وسط بين الأطراف التي لديها مصالح مختلفة موجودة مسبقًا؛ إنهم ينخرطون في التفاوض من أجل تحقيق أقصى قدر من إشباع هذه المصالح لأنهم يدركون أن وجود الآخرين ذوي المصالح المختلفة يكون عقبة في طريقهم.[1]

إن رؤية السياسة من منظور التفاوض لها العديد من النتائج ذات الصلة: أولاً: تتطلب الاتفاقيات التفاوضية دائمًا آليات امتثال إضافية، المفاوضون لا يدخلون في مفاوضات تتعارض مع مصالحهم؛ التفاوض هو إجراء يقوم في الأساس على إرضاء توزيع المصالح، إن كل طرف فيه يرفض أي مساس بمصالحه، وبالتالي فإن التسويات التفاوضية تترك بالضرورة بعض المطالبات الموجودة مسبقًا غير مرضية؛ فإن كل ما يهم في المطالبة هو درجة رضا الأطراف الداخلين فيه، لذا فإن بعض المطالبات لم يتم التوصل لحلول بشأنها حتى بعد التوصل إلى حل وسط، نتيجة لذلك يكون لدى كل طرف في المفاوضات دافع لكسر الاتفاقية عندما يخدم ذلك مصالحه بشكل أفضل من الحفاظ على الاتفاق، ومن ثم فإن الاتفاقيات التي يتم التفاوض عليها تأتي دائمًا بمشاكل عدم الامتثال لها.

نظرًا لأنه لا يوجد شيء داخلي في عملية التفاوض يعزز الثقة أو الإحساس بمشروع مشترك حتى لو تمكنت المفاوضات من إنهاء الصراع المفتوح أو منعه، فإنها لا تؤدي إلى وقف حقيقي للعداء، ثانيًا: يقود التفاوض كل جانب إلى المبالغة في ادعاءاته،

[1]- Anthony Simon Laden, Negotiation, deliberation, and the claims of politics, in Multiculturalism and Political Theory, pp 204,205.

وبالتالي يفصل الأطراف عن بعضهم البعض أثناء محاولتهم الوصول إلى اتفاق، الفكرة الأساسية هي أنه كلما كان كل طرف أقل استعدادًا للتنازل عن مطالبه كان بإمكانه الحصول على صفقة أفضل، وبالتالي يكون لديه حافز للمبالغة في أهمية مطالبه؛ وبالتالي نجد أنه في أغلب المفاوضات يدخل الأطراف في التفاوض بسوء نية ومن ثم ينتهكون الممارسات المقبولة للحصول على صفقة أفضل، وبذلك نجد أن التفاوض لا يقتصر فقط على غياب التفاعل والتواصل المشترك؛ ولكن نجد أيضًا أنه في ظل التفاوض يتحول الأطراف الداخلين فيه إلى مجموعات منفصلة، وذلك يكون له تأثير مع مرور الوقت على ترسيخ العلاقات داخل المجموعة والتأكيد على الاختلافات بين المجموعات؛ حيث يتم التركيز دائمًا على مواطن الاختلاف وليس على مواطن الاتفاق، ثالثًا: عندما تفشل المفاوضات في الوصول إلى اتفاق أو ينهار هذا الاتفاق يمكن أن يجعل ذلك الصراع أكثر حدة من ذي قبل، ويتم اتخاذ فشل المفاوضات من كلا الجانبين كعلامة على أن خلافاتهما حقًا لا يمكن التوفيق بينها، وأن الحل الكامل الوحيد لهذه المشكلة لا يكون إلا من خلال التغلب على العقبات التي يمثلها الجانب الآخر.[1]

وهنا يؤكد لادن أن الهدف من التمييز بين التفاوض والمداولات هو التأكيد على أنه في ظل المفاوضات السياسية لا يكون هناك وجود للتفاعل والتواصل المشترك الذي نتمكن من خلاله من التفكير والعيش معًا، وأن هذا يمكن أن يتحقق فقط في ظل المداولات السياسية التي تسعى في الأساس إلى ترسيخ أواصر التفاعل والتواصل المشترك من خلال تقوية العلاقات بين الشركاء والتي تمكنهم حقًا من التفكير والعيش معًا، إن العديد من القيم التي نأمل أن ندركها في العيش معًا بشروط مقبولة للطرفين مثل المصالحة والاعتراف والاحترام والتوافق يصعب تحقيقها من خلال المفاوضات السياسية وإنها يمكن أن توجد بفاعلية فقط في ظل المداولات السياسية.[2]

---

[1]- Ibid,pp205,206

[2]- Anthony simon laden ,reasoning asocial picture,p. 190.

إذا كان التفاوض هو وسيلة للبحث عن حل وسط يوازن بين مصالحنا المتنافسة الموجودة مسبقًا نجد أن المداولات على النقيض من ذلك تنطوي على تبادل الأفكار بين الأشخاص الذين يعتبرون أنفسهم شركاء يعملون على حل مشترك لمشكلة مشتركة، المداولات هي شكل من أشكال التواصل والتفاعل المشترك، إن ما يميز التداول هو أنه على الرغم من وجود خلافات بين الشركاء تحاول جميع الأطراف إيجاد مجموعة من الأفكار المشتركة؛ إنهم يرفضون أن يكون تركيزهم منصب على الحصول على أفضل صفقة يمكنهم الحصول عليها، إن جزءًا أساسيًا من مهمتهم في التداول، إذًا هو إيجاد طريقة لفهم ادعاءاتهم المتباينة فيما يتعلق بالأفكار المشتركة؛ لأنه من خلال القيام بذلك يمكنهم التفاعل مع الآخرين وتقديم دعوات مقبولة لهم قد يتضمن جزء من هذا الفهم رؤية أن الأفكار التي يقدمونها أو يمكنهم المشاركة فيها لا تدعم أي اتفاق آخر يتعلق بمصالح متباينة.[1]

و هنا يرى لادن أن هناك فرقًا مهمًا بين النظر إلى الآخرين على أنهم عقبات وبين رؤيتهم كشركاء؛ يتضمن التفاوض رؤية الآخرين كعقبات وبالتالي الحاجة إلى التعامل معهم كحقيقة مؤسفة، لذلك إذا تعاملنا مع السياسة باعتبارها تجسد منطق التفاوض فسيؤدي ذلك إلى رؤية السياسة كنوع من التنازل عن التعددية المعبرة عن عالمنا الاجتماعي.[2]

بما أن المفاوضات محددة من حيث غاياتها فيجب أن تتوصل إلى اتفاق حتى تكون ناجحة؛ التفاوض الذي يستمر على مدى فترة زمنية طويلة ولكن لا تقترب فيه الأطراف من التوصل إلى اتفاق نهائي أو حل وسط هو إلى حد ما تفاوض فاشل، المداولات من ناحية أخرى لأنها تتميز بجودة التفاعل وليست النتيجة النهائية يمكن أن

---

[1]- Ibid ,pp190,191.

[2]- Anthony Simon Laden, Negotiation, deliberation, and the claims of politics, in Multiculturalism and Political Theory, pp 204,205.

تستمر إلى أجل غير مسمى دون الإخفاق، يمكنها على سبيل المثال إلقاء الضوء على العلاقات بين الأطراف ومساحات الأفكار التي تسكنها.[1]

من النتائج المهمة لهذه الميزة المتمثلة في المداولات المعقولة أنها تتيح للأشخاص الذين يكون هناك خلاف بينهم التوصل إلى اتفاق أكثر من مجرد حل وسط؛ التركيز على المداولات المعقولة لا يكشف فقط عن تصنيف ثري للاتفاقيات المحتملة، ولكن أيضًا عن مجموعة غنية من الإخفاقات المحتملة في التوصل إلى اتفاق والتي لا تشير إلى اليأس من المزيد من المداولات؛ بدلاً من تخيل أن محادثاتهم تنهار يمكننا أن نرى كيف يمكن أن تؤدي إلى محادثة أكثر شمولية حول طبيعة علاقتهم وأنواع المطالبات التي تدعمها .[2]

على سبيل المثال إذا كانت المداولات تنطوي على إمكانيات جذابة للمصالحة ومع ذلك فإن الظروف (مثل انعدام الثقة بين التوزيعات) تجعل المداولات مستحيلة فلدينا أسباب للتفكير في كيفية تغيير تلك الظروف لجعل المداولات الحقيقية ممكنة .[3]

في هذا الإطار يرى لادن أنه يمكن لديناميكيات التداول أن تولد مستوى معينًا من التضامن حتى في حالة عدم وجود اتفاق نهائي، على عكس التفاوض لا تولد المداولات حوافز للمبالغة؛ في المداولات لا يتحمس كل طرف في المقام الأول للحصول على أكبر عدد ممكن من المطالبات الخاصة به ولكن في الوصول إلى مجموعة من التفاهمات المشتركة، من أجل التوصل إلى مثل هذه التفاهمات المشتركة يجب على كل طرف أن يفهم المطالب التي تكون موضع اهتمام من الطرف الآخر، وبالتالي فإن الشركاء المتداولين يسعون إلى التفكير أكثر في علاقاتهم مع بعضهم البعض، وليس التركيز فقط على المطالب الخاصة بكل طرف، وبالتالي فإن التحركات في المداولات لا تعمل كقاطرات على حبل مما يؤدي إلى استفزازات قوية مضادة من الجانب الآخر؛ بدلاً من

---

[1]- Anthony simon laden ,reasoning a social picture ,pp.185,186.

[2]- Anthony Simon Laden, Outline of a Theory of Reasonable Deliberation ,p.565.

[3]- Anthony Simon Laden, Negotiation, deliberation, and the claims of politics, in Multiculturalism and Political Theory, p211.

ذلك حتى عند رفضها فإن المقترحات المقدمة بحسن نية لما يتشاركه الطرفان تجذب الطرف الآخر إلى التفكير معًا، وبالتالي لا تؤدي المداولات إلى تزايد الخلافات الأولية؛ وإنما تعمل على جلب جوانب مختلفة نحو الاعتراف المتبادل والتفاهم حتى عندما تفشل في جعلهم يتبنون هوية مشتركة بالكامل؛ تعمل الديناميكية الداخلية للتداول بحسن نية على زيادة وليس على تآكل الثقة الموجودة، ونتيجة لذلك فإن المداولات التي لا تصل إلى اتفاق نهائي هي أقل احتمالا لتوليد صراع أكثر إثارة للانقسام.

ونتيجة لهذه الميزات وغيرها يمكن أن تستمر المداولات دون أن تكون هذه علامة على فشلها؛ يعكس فعل التداول ذاته نوعًا من الاتفاق بين الأطراف لحل خلافاتهم بشكل تعاوني وبشروط مقبولة للطرفين للعثور على وتطوير الهويات المشتركة التي يمكن أن تدعم الادعاءات المقبولة للطرفين، وبالتالي فإن المشاركة في المداولات تتطلب من كل طرف إظهار الاحترام والاعتراف بوضع الأطراف الأخرى كأطراف تكون مطالبهم موضع اهتمام.[1]

إن الأطراف التي تتعامل مع تفاعلها كمداولة وبالتالي مشاركة ولا تركز في المقام الأول على هدف التوصل إلى اتفاق نهائي تضع نفسها في وضع يمكنها من التوصل إلى اتفاقيات يمكن أن تكون أقوى وأكثر استقرارًا وأكثر ديمومة، ينشأ هذا من خلال النظر إلى التداول على أنه شكل من أشكال المشاركة، وبالتالي تحكمه قواعد المعقولية؛ لكي أكون منطقيًا في ارتباطاتي مع الآخرين يجب أن أكون منفتحًا على التغيير من خلال المشاركة نفسها، وأن أستجيب لما يقوله شركائي المتداولون، في غياب مثل هذا الانفتاح لا يمكن أن يكون هناك تبادل للأفكار بين الشركاء.[2]

[1]- Ibid,pp 212,213

[2]- Anthony simon laden ,reasoning a social picture ,pp.191,192.

يتضح من ذلك أن التداول بحسن نية يتطلب مستوى معينًا من الثقة المتبادلة بين جميع الشركاء الداخلين فيه.[1]

إذا تمكنا من التعامل مع هذه التفاعلات على أنها مداولات فإننا نكون منفتحين على مجموعة من الاحتمالات أكثر تفاؤلاً.[2]

إن معقولية مثل هذه المداولات سوف تعتمد إذًا على الطريقة التي يتم بها تبادل الأفكار؛ إن التركيز على تبادل الأفكار بين الشركاء بدلاً من حساباتهم الفردية حول ما يجب فعله يعني أن القرارات التي يتم اتخاذها ليست مجرد استراتيجية، بدلاً من ذلك للتداول معًا بشكل معقول يجب على كل طرف اعتبار زملائه المتداولين جزء لا يتجزأ من هذا التفاعل والتواصل المشترك.[3]

إن اشتراط أن يكون المشاركون في المداولات منفتحين على تحركات بعضهم البعض يعني أنهم يجب أن يكونوا قادرين على تغيير مواقفهم عندما يتطلب الأمر ذلك.[4]

وفي ضوء ذلك يرى لادن أن المداولات التي يتم فيها تقديم المطالب يجب أن تكون منظمة بحيث يؤدي قبول أو رفض المطالب إلى إحداث فرقٍ، عندها سنكون قادرين على القول أن العلاقات التي يكون من الممكن فيها إجراء مداولات معقولة هي وحدها التي يمكن من خلالها تقديم المقترحات وتبادل الأفكار، وبالتالي يكون بمقدورها تحقيق تواصل مشترك.[5]

وبذلك تتطلب المداولات المعقولة أن يكون المتداولون منفتحين للمراجعة في ضوء المعلومات الجديدة حول حقيقة مقترحاتهم التي يتم اعتبارها مجرد احتمالات يمكن أن

1- Anthony Simon Laden, Negotiation, deliberation, and the claims of politics, in Multiculturalism and Political Theory, p211.
2- Ibid, pp 199,200
3- Anthony Simon Laden, Outline of a Theory of Reasonable Deliberation ,p.555
4- Anthony simon laden ,reasoning a social picture ,pp.192,193
5- Anthony Simon Laden, Outline of a Theory of Reasonable Deliberation ,p573.

تحدث مستجدات تؤدي إلى تغييرها، ومعنى ذلك أن العلاقات المتبادلة بين شركاء المداولات ليست ثابتة؛ وإنما يمكن أن يحدث لها تغييرات في ضوء المستجدات الجديدة التي يتم الكشف عنها من خلال المداولات نفسها.[1]

في حين أن التفاوض يقوم على مبدأ المنفعة المتبادلة فإن المداولات تتطلب حالات من الوضوح المتبادل والتي بمقتضاها يتمكن كل شريك من تفهم مواقف الشركاء الآخرين، وسوف يؤدي هذا التفاهم المشترك إلى إمكانية أن يتحدث كل طرف نيابة عن الآخرين وليس فقط معهم؛ لا يمكننا أن نتداول إلا مع من نتعرف عليهم بشكل متبادل، وهنا سيحدث توافق بين الوضوح المتبادل وتحقيق المنفعة المتبادلة والذي سيؤدي إلى تحقيق المصالح المشتركة عبر مسارات مختلفة.[2]

إن عملية المداولات هذه تساعد إما على إنشاء أو إعادة تأكيد جانب من جوانب هويتنا المشتركة، في الوقت نفسه تتضمن عملية التداول المعقولة في الحالة المثالية على الأقل التوصل إلى فهم مشترك للأفكار ذات الصلة بالموضوع المطروح، وبالتالي كنتيجة للتداول المعقول يمكننا التوصل إلى إرادة مشتركة تعكس رغبة صادقة في التوصل إلى التوافق في الآراء.[3]

وبذلك تعبر المداولات عن نوعٍ من التوافق بين الأطراف لحل خلافاتهم وبشروط مقبولة للطرفين للبحث عن وربما تطوير مساحات مشتركة من الأفكار التي يمكن أن تدعم مطالبات مقبولة للطرفين، وبالتالي فإن المشاركة في المداولات تنطوي على كل حالة تظهر الاحترام والاعتراف بمركز الأطراف الأخرى كشركاء تكون مطالبهم موضع اهتمام، بالإضافة إلى ذلك بما أن المداولات تنطوي على محاولة تقديم وتبادل أفكار متنافسة مختلفة فإنها توفر للأطراف الذين لا يتفقون مع بعضهم البعض مجموعة واسعة من الخيارات والتي يمكن أن تحقق مطالبهم، ومن ثم نجد أنه في سياق التداول من الممكن أن

1- Ibid,p.,566.

2- Anthony simon laden ,reasoning a social picture ,p.193.

3- Anthony Simon Laden, Outline of a Theory of Reasonable Deliberation ,p.577

يعترف أحد الأطراف بشرعية عرض الطرف الآخر دون أن يكون متقبله بشكل كامل، يمكنهم أن يعترفوا بأن ذلك يؤدي إلى التفكير معًا.

في كثير من الأحيان فإن هذا الاعتراف يمكن أن يقطع شوطًا كبيرًا نحو حل النزاعات دون إبرام اتفاقيات نهائية، ويرجع ذلك جزئيًا إلى أنه يعمل على (إعادة) تأسيس بعض الأرضية المشتركة على الأقل، إن الاعتراف المستمر ببعضنا البعض يجعلنا جزء من مشروع مشترك؛ لأنه بمقتضاه يتم الحفاظ على علاقات المتداولين باعتبارها أساس لمزيد من المداولات والتفكير والتفاعل معًا، حتى في غياب الاتفاق الكامل يمكن أن تشكل المداولات قوة لخلق نوع من الاستقرار العادل في مجتمع متنوع وديناميكي، وهنا يظهر الفرق الأساسي بين التفاوض والمداولات؛ التفاوض هو نشاط يهدف إلى الاتفاق باعتباره غاية، وبالتالي يتناسب مع صورة التفكير كنشاط تحركه نهاية محددة، المداولات من ناحية أخرى رغم أنها قد تؤدي إلى اتفاق فإنها لا تفعل ذلك من خلال اعتماد الاتفاق كنهاية؛ ولكن عن طريق تقييد التحركات داخل حدودها بمعايير المعقولية، وبالتالي تتناسب مع الصورة الاجتماعية للتفكير.[1]

من هنا يمكننا أيضًا في سياق تفاعلاتنا أن نتعرف على أنواع جديدة من الأفكار ترتبط بالعضوية في مختلف المجموعات الفرعية التي نعيش فيها، وهذا يمكن أن يغير طبيعة انتمائنا وبالتالي طبيعة وجهات النظر التقييمية التي نلتزم بها، هذا التحول يعني أن لدينا أنواعًا جديدة من الأفكار التي لا يمكن الوصول إليها خارج سياق التفاعلات المشتركة التي تمكنا من التفكير معًا، يمكن أن يؤدي البدء بمعايير التفكير بدلاً من نظريات الأفكار إلى فهم كيف يمكن أن يتغير تقييمنا للأفكار نتيجة للتغيرات في وجهات نظرنا التقييمية، يمكن أن يفسر أيضًا حقيقة أن مثل هذه التغييرات يمكن أن تحدث من خلال تفكيرنا معًا، وبغض النظر تمامًا عن الرغبة في الاتساق النظري هناك مزايا للتعامل مع تبادل الأفكار من تحليل نشاط التفكير نفسه.[2]

---

[1]- Anthony simon laden ,reasoning a social picture ,pp.196,197.

[2]- Ibid ,pp.211,212

يؤدي الانخراط في المحادثة والأفكار الحقيقية والمفتوحة والمتبادلة إلى إيجاد كل أنواع الأرضية المشتركة العميقة والواسعة، من السهل أن نغفل عن كل ما نشاركه عندما نركز على الخلافات الشديدة لكن إمكانية الاختلاف ذاتها تعتمد دائمًا على مجموعة واسعة من الاتفاق، ومع ذلك في الصورة الاجتماعية فإن البحث عن مثل هذه الأرضية المشتركة حتى مع تلك التي نجدها غير عادلة يمكن أن يكون خطوة أولى في جعلهم يرون الأشياء بطريقة مختلفة؛ إنه ليس بالتالي شكلًا من أشكال التوفيق أو مجرد خطاب بل هو نشاط التفكير.[1]

وهنا يؤكد لادن أن الشرعية الديمقراطية لا يجب أن تكون مجرد وظيفة تتبع فقط الإجراءات المناسبة قبل تولي السلطة؛ ولكن يجب أن تتضمن أيضًا الانفتاح المستمر والاستجابة للتحديات التداولية بعد تولي السلطة.[2]

إننا بوصفنا مواطنين ديمقراطيين نشارك في علاقتنا المتبادلة عندما نتداول سياسيًا وبشكل عقلاني بدلًا من الاكتفاء بممارسة حق التصويت، تتطلب المداولات المعقولة أن يتقبل كل مشارك رفض زملائه المتداولين أفكاره، لا تعمل مثل هذه المداولات اعتمادًا على إصدار الأوامر؛ وإنما تكون نتاج التفاعلات المشتركة، لا تسفر المداولات من تلقاء نفسها عن قوانين أو قرارات محددة بعينها، السلطة في مثل هذه العلاقة يتم بنائها فقط عندما يتم التوصل إلى اتفاق وليس عندما يتم استيفاء مجموعة من الشروط على أوامر بعينها.[3]

تنبع الشرعية الديمقراطية من مواطني الدولة؛ يجب أن تتناقض الشرعية الديمقراطية مع مفاهيم الشرعية التي لا تشير بشكل أساسي إلى إرادة المواطنين، تشمل أمثلة المفاهيم غير الديمقراطية للشرعية تلك التي ترى أن شرعية الحكومة تعتمد فقط على

---

[1]-Ibid ,pp.214,215

[2]- Anthony Simon Laden ,Democratic Legitimacy And The 2000 Election , Kluwer Academic Publishers. Printed in the Netherlands., 2002,P.197.

[3]- Anthony simon laden ,reasoning a social picture , p67.

الوفاء بمتطلبات جوهرية معينة ينص عليها القانون الطبيعي أو تلبية الدولة لمتطلبات إجرائية معينة لا تشمل المواطنين.[1]

وهذا يعني الاهتمام بكيفية قيامنا باعتماد مفهوم أو آخر للشرعية الديمقراطية على الطريقة التي نفهم بها عالمنا؛ ليس مفهوم الشرعية نظرية سياسية يتم تطبيقها مباشرة على بلد معين أو خوارزمية لتحديد شرعية حكومة معينة.[2]

بدلاً من النظر إلى الوراء فقط نحو الإجراءات التي ترفع حكومة معينة إلى السلطة هذا المفهوم يركز على استجابة الحكومة لشواغل المواطنين بمجرد وصولها إلى السلطة، وتتمثل فكرته الأساسية في أن ما يجمع المواطنين الديمقراطيين معًا، ويشكل إلى حد كبير طبيعة المواطنة الديمقراطية هو التزامًا مشتركًا بحل النزاعات السياسية من خلال مداولات سياسية معقولة، عندما تعكس تصرفات الحكومة مثل هذه المداولات فإنها تكون شرعية، وهكذا فإن شرعية حكومة معينة تعتمد على عاملين: عدم وجود عوائق هيكلية للقضايا التي تثار أو الأصوات التي تُسمع، واستجابة الحكومة المستمرة لهذه الأصوات بمجرد إثارتها.[3]

نتيجة لذلك لكي تكون الدولة شرعية يجب أن تؤمن الظروف التي بموجبها يمكن إجراء المداولات السياسية المعقولة.[4]

إن هذا التصور يعتبر الشرعية السياسية أمرًا بحاجة إلى إعادة تأكيد وتجديد مستمر؛ إن استجابة الحكومة لمجموعة من التحديات التداولية لقراراتها اليوم ليس ضمانًا بأنها ستفعل ذلك غدًا، وبالتالي فإن شرعيتها اليوم لا تنتقل بالضرورة إلى الغد، ومن ثم

---

[1]-Anthony Simon Laden ,Democratic Legitimacy And The 2000 Election,p 199.
[2]- Ibid ,p.200
[3]- Ibid ,pp210.211.
[4]-Anthony Simon Laden , Republican Moments in Political Liberalism , Revue International de Philosophie , Vol. 60, No.237, September 2006, p357.

فإن إحدى الطرق لتحديد شرعية الحكومة هي إثارة تحديات تداولية معقولة لأفعالها ورؤية كيف تستجيب لها.[1]

الفكرة الأساسية وراء هذا الدفاع هي أنه يمكن للمواطنين المتنوعين تشكيل هوية مشتركة كمواطنين بطريقة تحترم تنوعهم من خلال المداولات السياسية المعقولة المستمرة، وأن جوهر الهوية التي يشكلونها يجب أن يتضمن التزامًا مشتركًا بحل خلافاتهم السياسية من خلال مثل هذا التداول، وبالتالي فإن الحكومة يجب أن تكون منفتحة باستمرار على التحديات التداولية المعقولة التي يمكن أن تعكس بشكل كافٍ إرادة الشعب، ومن ثم تلبي الاختبار الأساسي للشرعية الديمقراطية.[2]

إذا تصورنا الشرعية الديمقراطية على أنها انفتاح على التحديات التداولية، فإن صحة الديمقراطية تعتمد إلى حد كبير على مواطنة منخرطة ونشطة وليست معزولة عن حكومتها.[3]

وهنا يظهر تأثر لادن بجون رولز John Rawls (1921 – 2002) الذي رأى أن المواطنين يعدون أنفسهم أحراراً عندما يرون أنفسهم مصادر التدعيم الذاتي للمطالب الشرعية؛ حيث يعدون أنفسهم مؤهلين لعرض المطالب على مؤسساتهم.[4]

من هنا يؤكد رولز أن فكرة الحكم الذاتي الديمقراطي تعنى: أن المواطنين يجب أن يعملوا معاً بشكل إرادي لإدارة شئون مجتمعهم السياسية بشكل جماعي.[5]

1- Anthony Simon Laden ,Democratic Legitimacy And The 2000 Election ,p.211

2- Ibid ,pp.212,213.

3- Ibid ,pp.217,218

4- Erin Kelly, Justice As Fairness, A Restatement, John Rawls, The Belknap Press Of Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, London, England, 2000., pp 23 – 24.

5- Blain Everett Neufeld, Civic Respect And Political Plural Subjects, The University Of Michigan, 2002, p39 .

وفي ضوء ذلك يرى رولز أن الأفراد في مناقشتهم للاختلافات الدائرة بينهم فيما يتعلق بالأمور العامة ومحاولة وضع حلول لها عليهم أن يفسروا ويوضحوا أساس وجهات نظرهم، على اعتبار أن الجميع قد يتوقعون وبشكل ما أن الآخرين قد يؤيدون هذه الرؤى بصفتها متسقة مع حريتهم.[1]

وبذلك يتم النظر إلى المجتمع الديمقراطي في رأي رولز على أنه نظام للتعاون الاجتماعي؛ لا ينظر مواطنوه إلى عالمهم الاجتماعي على أنه نظام طبيعي ثابت، أو على أنه بناء مؤسسي مبرر من خلال مذاهب شاملة، وبذلك تحدد أدوار التعاون العادل فكرة التبادلية والتي تكون مكفولة بشكل كافٍ في فكرة التعاون.[2]

وهنا يؤكد لادن أننا إذا كنا مهتمين بإيجاد أرضية مشتركة حقًا فإن حاجتنا للتوصل إلى اتفاق سيكون لها هذا التأثير الهام، ونصل إلى هذا الاتفاق عندما تقابل مقترحاتنا بالقبول المشترك، من هنا يتضمن التفكير معًا للتوصل إلى اتفاقيات وقرارات مشتركة الكثير من أشكال التفاعل التي تتجاوز الارتباطات الشخصية.[3]

إن التفاعلات المشتركة تحتاج إلى وجود مثل هذه الاتفاقيات؛ يجب على أعضاء الهيئة التشريعية والجمهور الديمقراطي إيجاد سياسات أو مبادئ يمكن أن يتفقوا عليها جميعًا، كذلك يجب على الدول والشعوب في النزاع الاتفاق على شروط السلام.[4]

يتضح من ذلك أن المجتمع السياسي الذي يتم فيه التعامل مع التعددية من خلال التداول يمكن أن يكون مستقرًا بطريقة تتوافق مع هذه التعددية، وهذا يتطلب في الواقع الاعتراف والقبول بمطالب استيعاب التنوع، على هذا النحو فإن التعددية لا تشكل تهديدًا للاستقرار السياسي؛ بدلًا من ذلك فإن ما يضمن في نهاية المطاف استقرار مثل هذا

---

[1]- ستيفن ديلو، التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني، ترجمة: ربيع وهبة، مراجعة: علا أبو اليزيد، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2003، ص 466.

[2]- John Rawls, Political Liberalism, Columbia University, New York, Press, 1996, pp. 15 – 17

[3]- Anthony simon laden ,reasoning a social picture,p174.

[4]- Ibid ,pp.174,175.

المجتمع هو انفتاحه المستمر على التحدي والخلاف، واستعداده لعدم إغماض عينيه عن التنوع خوفًا من أن يؤدي التنوع إلى تآكل الوحدة، إن الاستقرار الذي يمكن أن ينتج عن مشاركة المجموعات المتنوعة في المداولات السياسية داخل مجتمع تعددي هو استقرار يمكن أن يترسخ في خضم النضالات التداولية المستمرة.[1]

وبذلك يمكن للمداولات أن تسفر عن نوع القرار المشترك الذي يمكن للجميع قبوله فقط إذا كان لا يتم عن طريق الإكراه أو التلاعب؛ ولكنه يمثل تبادلًا حقيقيًا للأفكار، إذا تمت المداولات في سياق عدم المساواة المنتظم والواسع النطاق فقد يكون من المستحيل التمييز بين القرار الذي يتم مشاركته حقًا عن القرار الذي يرضخ فيه الطرف التابع للطرف المهيمن، علاوة على ذلك في العديد من حالات عدم المساواة الممنهجة ستكون أسس الثقة مفقودة، نظرًا لأن عدم المساواة يمكن أن تعمل على تقويض إمكانية أن تمنح المداولات الشرعية للقرارات التي تنتج عنها فإن النهج الذي يحلل السياسة ضمن منطق التداول يجب أن يعالج قضايا عدم المساواة جنبًا إلى جنب مع قضايا التعددية؛ إن غياب المساواة يؤدي إلى تقويض إمكانية أن تؤدي المداولات إلى أفكار مشتركة حقيقية.[2]

وبذلك تركز المداولات المعقولة على الدور الذي يلعبه التفكير المنطقي معًا في هيكلة علاقاتنا والسياقات التي تشكل تلك العلاقات وتغيرها وتحافظ عليها، في ظل هذه الصورة المعقولة يكون من الممكن للأشخاص ذوي الغايات والاهتمامات المتباينة العيش معًا بطرق تحافظ على استقلاليتهم، تكون هذه العلاقات ممكنة من خلال قدرتنا على تشكيل التفاعلات المشتركة؛ عندما تكون علاقاتنا مفتوحة للمراجعة عبر مداولات معقولة عندئذٍ يمكننا مشاركة مساحة من الأفكار، وعندما توجه هذه الأفكار أعمالنا فإننا نسترشد بالأفكار التي نعترف بها كأفعال خاصة بنا وبالتالي تكون مستقلة.[3]

---

[1]- Anthony Simon Laden, Negotiation, deliberation, and the claims of politics, in Multiculturalism and Political Theory, pp 213,214.

[2]- Ibid pp 214,215

[3]- Anthony Simon Laden, Outline of a Theory of Reasonable Deliberation ,p556

إن التواصل المشترك الذي يتحقق نتيجة هذه المداولات المعقولة والتفكير معاً للتوصل إلى اتفاق من جانب المشاركة يؤدي بالتالي إلى التركيز على التفاعل الذي يسبق القرار بدلاً من طبيعة القرار الذي تم التوصل إليه، وبالتالي يتم التركيز على التساؤل عن ما إذا كان تفاعلنا معقولًا وليس فقط عن ما إذا كان قرارنا معقول.[1]

يتضح من ذلك أن المداولات هي شكل من أشكال المشاركة المعقولة التفاعلية التي تنشأ عن اهتمام المشاركين بالتوصل إلى شكل من أشكال الاتفاق أو القرار المشترك أو الاستنتاج المشترك، تكمن أهمية هذه المداولات في أنها تدفع المشاركين إلى المشاركة، وذلك لأن القواعد التي تحكم المداولات هي معايير المشاركة المعقولة، على الرغم من تحريك الأطراف للتداول بهدف التوصل إلى اتفاق فإن نشاط المداولة بحد ذاته لا ينتهي بقرار أو اتفاق؛ ولكن فقط يمهد الطريق لقرارات واتفاقيات أخرى لا تنتهيٍ.[2]

وبذلك نكون على وعي بكيفية احترام خلافاتنا وعدم فرض أفكارنا على الآخرين الذين يختلفون معنا بشكل معقول، وبالتالي يمكن أن يكون لدينا شكل من أشكال الديمقراطية الدستورية؛ حيث يتم اتخاذ القرارات السياسية من خلال مداولات معقولة.[3]

وهكذا يتبين أن تقييم الأفكار يتطلب البحث عن نوع من التوازن ليس فقط بين متطلبات الموضوعات المتعددة التي ينتمي إليها كل منا ولكن أيضًا بين المفاهيم التي لدينا عن تلك الموضوعات المتعددة؛ إن اكتشاف ما يجب فعله ليس نشاطًا منفصلاً تمامًا عن معرفة من أنا ولا هي مسألة استنباط إجابات من مجموعة من المباني الثابتة؛ لأن من أنا في جزء كبير يتم تحديده من خلال عضويتي في العديد من الموضوعات التعددية، كذلك فإن معرفة ما أنا عليه يكون مرتبط بمعرفة ما يكون عليه الآخرون أيضًا؛ لأننا

---

[1]- Anthony simon laden ,reasoning a social picture ,pp183,184

[2]- Ibid,p185,

[3]- Ibid ,p 238.

نحيا معًا في ظل تفاعلات مشتركة، يتضح من ذلك أن كوننا عقلانيين هو إنجاز جماعي.[1]

إن قواعد نشاط التفكير تتطلب منا الحفاظ على نزاهتنا في التفكير مع بعضنا البعض حتى نتمكن من إخضاع المقترحات التي نقدمها لبعضنا البعض للنقد، القيام بذلك يحمي هذه المقترحات من أي سلطة ديكتاتورية .[2]

يجب أن نكون قادرين على تقديم مقترحات للمخلوقات العقلانية، وأن نفسح لهم المجال للقيام بنفس الشيء حتى نتمكن من العيش والتفكير معًا.[3]

وفي ضوء ذلك يرى لادن أن الفلاسفة الذين يتبنون نهجًا سياسيًا ويعملون ضمن منطق التداول لم يطوروا حلولًا نظرية؛ لأنهم على وعي بأن الحل والتوافق يجب أن يأتي من خلال المداولات، وهذه هي مهمتنا كمواطنين وليس كفلاسفة ومنظرين، وهذا يتفق مع ما أكده رولز وهو أنه في المداولات السياسية ليس هناك خبراء فلسفيون.

وهنا يتساءل لادن ماذا إذًا يمكن أن تفعله الفلسفة والنظرية السياسية؟، ويجيب عن هذا التساؤل مؤكدًا أن مهمة الفلاسفة هي إما أن يضعوا معايير للحكم على مدى معقولية المداولات من خلال تسليط الضوء على أهم القواعد التي لا يمكن أن تكون هناك مداولات دونها (مثل الحاجة إلى الثقة المتبادلة) اللازمة للتداول بحسن نية، أو محاولة الانخراط مباشرة في تلك المداولات من خلال تقديم مقترحات معينة تساهم في إيجاد حلول للقضايا التي تكون موضع خلاف، وربما يكون لفيلسوف المداولات دورًا في تقديم مفهوم للهوية المشتركة للأطراف من شأنه أن يسمح للمداولات بالمضي قدمًا، أو تقديم تحليل لمعقولية حجج كلا الجانبين، أو الخلفية الهيكلية التي تتم على أساسها المداولات.

---

[1]- Ibid ,pp241,250

[2]- Ibid ,p252

[3]- Ibid ,p266.

يمكن للفلسفة السياسية عندما تأخذ نهجًا سياسيًا أن تساعد في التوفيق بيننا وبين حقيقة التعددية حتى نراها ليست تهديدًا للوحدة السياسية أو كمجموعة من المشاكل التي يجب أن يتم التغلب عليها أو مشكلة نظرية يجب حلها من قبل الخبراء؛ ولكن كنتيجة لشيء نقدره من خلال عدسة منطق التداول؛ فيمكننا أن نتعلم أن نرى هذه التعددية كفرصة وليست كتهديدًا، كنتاج للعقل وليس الفوضى، هنا يمكن أن توفر الفلسفة ثروة من الخيارات الممكنة التي يمكن الاستفادة منها في تفاعلنا وتواصلنا المشترك.[1]

نظرًا لأن هذه التحركات تستدعي المعايير المميزة للتفكير والمحادثة يمكننا استخلاص استنتاجات عامة بشأنها حتى لو لم نتمكن من استنباط نظريات كاملة للأفكار.[2]

وهنا يتفق لادن مع الكثير من المفكرين ومنهم: جون لوك (John Locke)(1632–1704) الذي رأى أن الفلسفة يجب أن تعزز "مزايا الحياة البشرية ووسائل الراحة" ؛ إنها يجب أن تركز الاهتمام على العالم اليومي وطموحاته؛ إن التطبيق العملي والعمل هي الكلمات التي تعبر عن سر الفلسفة.[3]

ويتفق أيضًا مع جون ديوي (John Dewey) (1859–1952) الذي رفع مستوى الممارسة و دافع عن نهج تشاركي ديمقراطي لطبيعة المعرفة، إنها تنبع من داخل المشهد الطبيعي والاجتماعي ومن هنا نظر ديوي إلى الفلسفة على أنها حالة من النشاط وليست شيء معزول عن الممارسة.[4]

---

[1]- Anthony Simon Laden, Negotiation, deliberation, and the claims of politics, in Multiculturalism and Political Theory, pp 215,217,205.

[2]- Anthony simon laden ,reasoning a social picture ,p208

[3]- Sheldon S. Wolin, politics and vision: Continuity and Innovation in Western Political Thought , princeton university press princeton and oxford, 2004,pp 266,267

[4]- Ibid ,pp 504-505

ويتفق كذلك مع برتراند راسل (Bertrand Russell) (1872- 1970) الذي أكد أن المثل السياسية الجديدة لا تأتى من تشييد مدناً فاضلة؛ فكل المدن الفاضلة التي تم اقتراحها ما هي إلا يوتوبيات تتسم بالجمود والسكون والبعد كل البعد عن الواقع الذي يحياه الإنسان المليء بالحركة والحيوية والتجديد، والذي يختلف اختلافاً كاملاً عن الثبات المزعوم في هذه اليوتوبيات.[1]

كما أنه يتفق مع ميشيل أواكشوط (Michael Oakeshott) (1901-1990) الذي رأى أن السياسة هي الوسيلة التي يتم من خلالها تجميع البشر مع بعضهم البعض وذلك لأنها تعبر عن اهتماماتهم وتوجهاتهم والتي يكون فيها لكل فرد بعض الأدوار وبعض المسئوليات.[2]

ويتفق أيضًا مع حنة أرندت (Hannah Arendt) (1906-1975) التي رأت أن النجاح السياسي يتحقق من خلال زرع الأمل في الحياة المشتركة، وليس معنى ذلك إنكار التعدد والتنوع وذلك لأن السياسة ما هي إلا الاعتراف بالتعدد والتنوع البشرى.[3]

كما أنه يتفق مع جيمس تالي (James tully) (1946-؟) في تأكيده على ازدواجية الفلسفة والمواطنة والتي رأى من خلالها أن الفلسفة العامة في مفتاح جديد هي طريقة جديدة لدراسة السياسة؛ إن دور الفلسفة العامة هو معالجة الشؤون العامة، يمكن القيام بهذه المهمة المدنية من خلال الدخول في حوارات مع المواطنين المنخرطين في صراعات ضد مختلف أشكال الظلم والقمع، الهدف هو إقامة علاقات متبادلة بين البحث الأكاديمي والأنشطة المدنية للمواطنين.[4]

وبذلك رأينا كيف ميز لادن بين المفاوضات السياسية والمداولات السياسية من خلال تأكيده على أن السياسة لكي تكون قادرة على تحقيق تواصل فعال حقيقي يجب أن

---

[1]- برتراند راسل، أسس لإعادة البناء الاجتماعي، ترجمة : ابراهيم يوسف النجار، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1987، ص 78.

[2]-Michael Oakeshott, Political Education In Rationalism In Politics And Other Essays,P.112.

[3] - حنة أرندت، في العنف، ترجمة : ابراهيم العريس، بيروت، دار الساقي، 1992، ص 74.

[4]- James tully ,public philosophy in new key , vol.1:democracy and civic freedom ,Cambridge university press ,2008.pp.3,4.

تنتقل من دائرة المفاوضات إلى دائرة المداولات؛ لأن دائرة المفاوضات تسعى إلى تحقيق تسويات وحلول وسط في نفس الوقت الذي تسعى فيه للوصول إلى قرارات واتفاقيات نهائية، ولكن كل طرف في هذه المفاوضات ينظر إلى الآخر على أنه عقبة في طريقه؛ كل طرف يرغب في الهيمنة والسيطرة والانتصار على الآخر، وغالبًا يكون مصير هذه المفاوضات الفشل؛ لأنها لا ترغب في الوصول إلى حلول حقيقية؛ وبالتالي لا ترغب في حل المشكلات والأزمات؛ وإنما هذه المفاوضات لأنها تقوم على غياب الثقة، وغياب الرغبة في التفاهم والمشاركة الحقيقية، والرغبة في إيجاد أرضية مشتركة والتي لا تتحقق إلا من خلال الرغبة الصادقة في صنع حياة مشتركة تضم البشر بداخلها في أمن وسلام واستقرار فإن هذه المفاوضات يكون مصيرها الفشل، لذلك من الأفضل لكي يكون هناك تواصل حقيقي أن تتحول السياسة من دائرة المفاوضات إلى دائرة المداولات؛ لأنه من خلال المداولات نتمكن من صنع حياة مشتركة لا يكون هناك وجود للغة الهيمنة والرؤيا الأحادية؛ وإنما تكون هناك رغبة في إيجاد أرضية مشتركة يمكن أن يقف عليها كل الأطراف لا يكون فيها منتصر ومهزوم؛ وإنما رغبة في المشاركة الحقيقية في المداولات التي لا تسعى إلى الوصول إلى اتفاقيات وقرارات نهائية؛ وإنما تكون فيها المداولات مفتوحة دائمًا للمراجعة والنقد، ومحاولة إيجاد حلول واقعية فعالة تتمكن حقًا من معالجة المشكلات والأزمات عن طريق رغبة صادقة في التخلص من كل أشكال الهيمنة والسيطرة، ورغبة في إيجاد حياة مشتركة يمكن أن يحياها البشر معًا، بعيدًا عن الصراعات والعنف، وبعيدًا عن لغة الهيمنة والسيطرة التي تقوم عليها المفاوضات السياسية.

إن المداولات تركز على قيمة أساسية وهي قيمة المشاركة بدرجة كبيرة، كما أنها تضع كل اهتمامها في التفاعل نفسه ومحاولة إنجاحه من أجل إيجاد أرضية مشتركة وتفهم مشترك، إن القرارات والاتفاقيات التي يتم التوصل إليها من خلال المداولات تكون أكثر جدوى وتكون أكثر فاعلية؛ لأنها نابعة من رغبة صادقة حقيقية في حل النزاعات والتوصل لأرضية مشتركة تضم الجميع؛ لأن المداولات تركز على النحن وعلى القيمة الجماعية؛ إنها تريد إبراز التعددية، تعترف بالاختلافات ولا تنكرها، ترغب في أن يكون لكل مشارك

صوت حقيقي، أن يكون لكل مشارك في التداول وجود وأهمية وقيمة حقيقية؛ لأن هدف المشاركين في التداول هو التفاعل الواعي المستنير من خلال إبراز نقاط التلاقي ونقاط الاتصال؛ وذلك لأنها تركز على التفاعل وليس على النتيجة أو القرار أو الهدف، إن محور اهتمام المداولات هو التفاعلات نفسها والتي يتم من خلالها إبراز قيمة التواصل المشترك، وذلك على العكس من المفاوضات التي لا يكون فيها وجود لقيمة المشاركة؛ وإنما محاولة لاستعراض القوى؛ كل طرف يحاول أن يستعلي على الطرف الآخر، وأن يفرض هيمنته على التفاوض.

إن المداولات لا تهدف إلى التوصل إلى قرارات واتفاقيات نهائية وإنما تقوم في الأساس على مداولات مفتوحة وحوارات ونقاشات مستمرة يكون نهاية كل تداول بداية جديدة للدخول في تداول آخر، وأن الأرضية المشتركة التي يجب أن تضم المتفاعلين في المداولات يجب أن تستمر وأن تتسع بلا نهاية.

ومعنى ذلك أنه في المفاوضات ينظر كل طرف إلى الأطراف الداخلة في التفاوض على أنهم عقبات في طريقه يجب أن يتم التغلب عليها، أما في المداولات فإن كل طرف ينظر إلى الأطراف الأخرى على أنهم شركاء له؛ إنهم يتفاعلون ويتواصلون للوصول إلى تفاهمات مشتركة، وقرارات مشتركة، وتسويات حقيقية، وليست حلول وسط زائفة كالتي يتم التوصل إليها في المفاوضات .

وبهذه الطريقة فقط يمكن للسياسة أن تتحول من دائرة الحروب والصراعات والعنف وتركز فقط على المشاركة والتفاعل وإبراز القيم الإنسانية، وإنني اتفق معه إلى حد كبير في ذلك؛ كل يوم يقال لنا أن هناك مفاوضات سياسية على مسألة ما ولا يتم التوصل إلى قرارات واتفاقيات نهائية بشأنها؛ إن المفاوضات تعجز عن التوصل إلى قرارات واتفاقيات نهائية أو حتى إلى تسويات وحلول وسط؛ لأنه يكون هدفها تغليب المصالح الخاصة، وفرض لغة الهيمنة والسيطرة؛ فكل طرف لا يتنازل عن أهدافه أوعن مصالحه، وبالتالي لا يتحقق معها أي قرارات أو اتفاقيات نهائية؛ وإنما يكون مصيرها الفشل دائما وتعود فتفشل وتتزايد حدة

الصراع عن ذي قبل؛ لأن هدفها لم يكن أبدًا التوصل إلى حلول حقيقية، لم يكن من وراءها أبدًا رغبة حقيقية صادقة في حل المشكلات والأزمات؛ وإنما يتفاوض المشاركون بشكل صوري، ولا يرغبون أبدًا في حل المشكلات والأزمات؛ وإنما يرغبون في أن تتفاقم ليثبت كل طرف هيمنته وسيطرته على الأطراف الأخرى، لا يهدف المشاركون في المفاوضات إلى تغليب الروح الإنسانية وتغليب القيم الإنسانية من مودة ورحمة وتعاطف وتآزر بين البشر، ورعاية واهتمام للضعفاء من قبل الاقوياء، ورغبة صادقة في مساعدتهم وحل مشكلاتهم وأزماتهم؛ وإنما يكون هؤلاء الأقوياء المشاركين في المفاوضات هم السبب الرئيسي وراء تفاقم المشكلات والأزمات الموجودة في العالم كله والتي تستمر وتتفاقم بسبب فشل مفاوضاتهم التي يكون هدفها تغليب المصالح الذاتية، وتغليب روح الهيمنة والسيطرة.

لذلك لكي يكون هناك حلول سياسية فعالة يجب أن تحل كما يقول لادن المداولات السياسية محل المفاوضات السياسية؛ يجب أن تكون هناك رغبة في التواصل، رغبة في التفاعل والتعايش بين البشر وتغليب روح المشاركة للوصول إلى تفاهمات مشتركة تتمكن من الوصول إلى عالم إنساني يضم البشر بداخله بقيم إنسانية، وإن كنت أرى أن ذلك صعب تحقيقه على أرض الواقع؛ فالسياسة لا تعرف إلا لغة القوة، ولا تعرف إلا لغة المصالح وفرض الهيمنة، ولكن ربما يأتي يومًا نتيجة تفاقم المشكلات والأزمات وتفاقم الكوارث ترى فيه الأطراف المتصارعة التي لا تعرف إلا المفاوضات الفاشلة أن مصير الجميع مهدد وأن العالم كله مهدد بسبب إصرارهم على فرض قوتهم وعلى التركيز فقط على إبراز جوانب الهيمنة والسيطرة؛ ربما يتم تغليب الروح الإنسانية وتغليب القيم الإنسانية، والرغبة الصادقة في التواصل والتفاهم بين البشر، هنا فقط سيكون لفلسفة التواصل وجود حي حقيقي على أرض الواقع.

وإنني اتفق مع لادن على أهمية المداولات السياسية، ولكن في كثير من الأحيان يكون وجود المفاوضات السياسية مسألة ملحة؛ لأنه يكون من الضروري التوصل إلى حلول حاسمة؛ قد يحدث مستجدات خطيرة لابد من التوصل إلى قرارات مصيرية بشأنها، هناك قضايا شائكة لابد من حسمها، مشكلات وأزمات خطيرة تستوجب حلول فورية لها،

فأنا معه في التأكيد على أهمية المداولات ودورها ولكن ذلك لا يمنع من أهمية وجود المفاوضات وإلا سيكون تفكيره يوتوبي خيالي بعيد كل البعد عن الواقع المليء بالمشكلات والأزمات والكوارث والقضايا الملحة التي يجب أن يتم التوصل إلى قرارات حاسمة وحلول نهائية بشأنها، إن كنت أتفهم وجهة نظره أن هذه التسويات تكون لصالح الغطرسة والهيمنة وتفضيل مصالح القوى، ومع ذلك لا يمكن استبعادها من المشهد السياسي تمامًا بسبب وجود المشكلات والأزمات والكوارث التي تحتاج إلى حلول حاسمة وإلى قرارات قد تكون مصيرية في أغلب الأحيان لا تحتمل مجرد الكلام والنقاشات دون الوصول إلى أي حلول أو قرارات ملزمة بشأنها.

هنا يأتي الدور التنويري الذي تقوم به الفلسفة في التأكيد على أهمية الوعي بقيمة التواصل، والوعي بقيمة التفاهم والمشاركة؛ أراد لادن أن يؤكد لنا أن الفلسفة لا تقوم في الأساس على تحقيق أهداف محددة بعينها، وأن الفلسفة يمكن أن يكون لها وجود مثمر في ظل الأحاديث العادية؛ يمكن أن نتواصل من خلالها في التعبير عن أفكارنا؛ إنها يمكن أن تكون مرآة حية صادقة تنعكس من خلالها أفكارنا وميولنا ومشاعرنا واهتماماتنا، ويمكن من خلالها التوصل إلى أفكار وطرق جديدة مبتكرة، ولكن هذا لا يكون من خلال قواعد صارمة أو مبادئ مجردة؛ وإنما من خلال التفاعل والتعايش بين البشر.

أراد لادن أن تنزل الفلسفة إلى أرض الواقع، وأن يكون تفكيرنا مرتبط بحياتنا المعيشية وأحاديثنا واهتماماتنا؛ أراد أن يكون الفكر ملتحمًا بالواقع التحامًا مباشرًا، وأن لا يحلق في سماء اليوتوبيات والمجردات، وأن يكون مرآة حية صادقة تعبر أصدق تعبير عن الواقع المعيش، هنا فقط ستكون الفلسفة وسيلة للتواصل وليست وسيلة للتباعد، أما إذا انتهى الأمر بالفلسفة إلى المبادئ المجردة والقواعد الصارمة فإنها هنا ستكون فلسفة للتباعد وليست فلسفة للتواصل؛ فلكي تحقق الفلسفة الهدف الأساسي وهو التواؤم بين البشر يجب أن تكون حية نابضة ملتحمة بهذا الواقع، يجب أن يكون احتكاكها بالناس احتكاكًا مباشرًا، يجب أن تتبادل معهم الأحاديث والأفكار، والمشاعر والقيم، والمواقف والتفاعلات، هنا فقط ستصبح الفلسفة وسيلة للتواصل وسيتم الاستفادة منها من خلال هذه التفاعلات

المستمرة التي يكون هدفها التعايش بين البشر، وهنا لن تكون أبدًا نهاية الفلسفة وإنما ستكون البداية الحقيقية لها، بدايتها من الواقع من الناس العادية، من اهتمامات ومشاعر وميول ومشكلات وأزمات الناس في كل المواقع والتي ستكون متجددة ومستمرة، لذلك يجب أن تتسم الفلسفة بالتجديد والواقعية والانفتاح والمعايشة المستمرة، ولا تكون أبدًا منغلقة في قواعد ومعايير صلبة حاسمة جامدة؛ لأنها ستكون في هذه الحالة بعيدة كل البعد عن الناس وحياتهم ومشكلاتهم وأزماتهم، لذلك يجب أن تكون جزء لا يتجزأ من واقع الناس المتجدد المستمر على الدوام.

الخاتمة

تحدثنا في هذا البحث عن فلسفة التواصل عند أنتوني سيمون لادن وكانت البداية من العلاقة التي أقامها بين التفكير والتواصل الاجتماعي والتي أراد من خلالها أن يخرج التفكير من دائرته الانعزالية الانفرادية ليجعله أساسًا لبناء حياة مشتركة؛ أراد أن يجعله أداة ولبنة أساسية لتحقيق التواصل بين البشر، وليس أداة للتباعد بينهم، من هنا اعترض لادن على جعل التفكير يدور في دوائر منغلقة جعل التفكير وكأنه خاص بمجموعة دون سواها؛ وذلك من خلال التأكيد على أن التفكير يقوم على مجموعة من المبادئ والقواعد الأساسية والحسابات المنطقية الدقيقة، وذلك جعل التفكير وكأنه قاصرًا على مجموعة من البشر هم بمفردهم الذين يعلمون هذه القواعد، وهم بمفردهم الذين يجيدون استخدامها، أما بقية البشر يتم وصفهم على أنهم عاجزون عن التفكير؛ لأن ليس لديهم المقدرة على استخدام هذه القواعد وتلك المبادئ، أراد لادن أن يثبت لنا خطأ هذا الزعم؛ فإن التفكير منحة منحها الله لجميع المخلوقات؛ إنه الهبة التي تميزهم عن سائر الموجودات الأخرى، ولكن جعله يدور في فلك بعينه في قواعد ومبادئ بعينها جعله وسيلة للتباعد بين البشر وليس للتواصل بينهم، وإذا تساءلنا ما هو التفكير في حقيقية الأمر نجد أنه ما هو إلا مجموعة من الأقوال والأفعال التي نقولها ونفعلها؛ إنه أسلوب حياة؛ إن التفكير هو حياتنا المشتركة، هو تعاملنا مع بعضنا البعض هو وسيلة للتواصل بيننا؛ فالتفكير يتم ترجمته إلى الحياة المشتركة التي

نحياها، وبالتالي لا يكون له وجود دون أفعالنا وأقوالنا، ودون علاقتنا بالآخرين وتواصلنا معهم.

إن التفكير لا يكون أداة لصنع جزر منعزلة مستقلة لكل منها قواعدها ومبادئها المنعزلة المنفصلة تمامًا عن تفكير الجزر الأخرى؛ أراد لادن أن ينزل التفكير من سماء المجردات إلى واقعنا المعيش إلى الحياة التي نحياها ليثبت لنا أن التفكير ما هو إلا حياتنا المشتركة التي نحياها معًا، وإنه ليس أبدًا مجموعة من المجردات المنفصلة أو مجموعة من القواعد الثابتة التي تكون خاصة بفئة دون فئة أخرى؛ إن التفكير هو نشاط يقوم به كل إنسان؛ إنه ممارسة نقوم بها في كل لحظة من خلال أقوالنا وأفعالنا، ومن خلال تفاعلنا وتواصلنا مع الآخرين.

إن وصف التفكير بأنه نشاط يخرجهم من الدائرة المنغلقة المنعزلة ويثبت أنه منفتحًا وحرًا طليقا وليس قائمًا أو معتمدًا على مجموعة من القواعد والمبادئ المجردة؛ إنه نشاط قائم على الممارسة، إنه يعبر عن حياتنا المشتركة وعن وجودنا معًا، ومعنى ذلك أن التفكير والتواصل وجهان لعملة واحدة يعبر كلٌ منهما عن الآخر؛ فإذا لم يتمكن التفكير من أن يحقق التواصل بين البشر فمعنى ذلك أن التفكير ابتعد عن مهمته الأساسية وأصبح أي شيء آخر غير كونه تفكير؛ لأن التفكير يتم التعبير عنه من خلال مواقفنا الحياتية، ومن خلال تفاعلنا وتواصلنا مع الآخرين، وإنه لم ولن يكن أبدًا بناءً مستقلًا منعزلًا عن الآخر، وإنني اتفق معه في ذلك؛ فإن المبالغة في القول باستقلالية التفكير، والقول بأن له قواعد ومبادئ ثابتة وأن هناك أناس متخصصون فيه خلق لنا التعصب الفكري والمتمثل في التحيز لمجموعة من الأفكار بعينها؛ لأنها قامت على قواعد ومبادئ محسوبة ومدروسة، ونتج عن ذلك تعصب فكرى والذي بمقتضاه تمسك كل مفكر بأفكاره ورأى أنها تعبر عن قواعد ومبادئ التفكير السليم دون سواها، وأن كل الأفكار الأخرى لم يتمكن أصحابها من استخدام قواعد ومبادئ التفكير بشكل سليم، ونتج عن هذا التعصب الفكري تعصب في الآراء فتمسك كل مفكر بآرائه باعتبارها نتاج لهذه الأفكار السليمة القائمة على مبادئ وقواعد يقينية، ولكن واقع الحياة التي نحياها يؤكد لنا أنه ليس هناك

حدود منغلقة سواء كانت قواعد أو مبادئ أو أطر ثابتة جامدة؛ الحياة يحدث بها كل يوم جديد، وبالتالي فإنها تتسم بالاستمرارية والتجديد؛ كل يوم يكتسب الأفراد خبرات ويتعرضون لمواقف وتجارب مختلفة تغير تفكيرهم وتجدده وتنشطه، ومعنى ذلك أن التفكير مرتبط بالحياة وليس بعيدًا عنها؛ إن حياتنا وواقعنا وأقوالنا ومواقفنا وخبراتنا هي التي ينتج عنها أفكارنا وليس العكس، هذه الأفكار لا تأتي من فراغ؛ وإنما تكون المحصلة الناتجة من تفاعلنا و من تواصلنا، ومن مشاركتنا معًا في بناء حياة مشتركة تضم الجميع، وبالتالي فإن التفكير والحياة يعبر كلٌ منهما عن الآخر؛ فالتفكير دون الواقع ودون الحياة يتحول إلى شيء فارغ من كل مضمون، وهذا ما دفع لادن إلى وصف التفكير بأنه تواصلٌ اجتماعيٌ؛ إنه اجتماعيٌ بمعني أنه مرتبط بالحياة التي نحياها وليس بالفردية الانعزالية المستقلة، وبذلك يكون التفكير بعيدًا كل البعد عن الأطر والقواعد الجامدة والمنغلقة؛ إنه منفتح على الحياة بكل أحداثها، بكل وقائعها، بكل تجديداتها، بكل تغيراتها.

وبذلك يتسم هذا التفكير بأنه قابل للنقد، وهنا يظهر تأثر لادن بكانط الذي يؤكد على أن التفكير يجب أن يكون قابل للنقد، وأنه دون قبوله للنقد يصبح أي شيء غير كونه تفكيرًا؛ إنه قابل للنقد الذي يجعلنا نراجع مواقفنا ونعيد النظر في تصرفاتنا وفي أقولنا وأفعالنا؛ إنه النقد البناء الذي يساعدنا على التفاعل والتواصل وليس على التباعد، نقد لا يؤدي إلى التنفير من بعضنا البعض وإنما على العكس من ذلك يكون وسيلة للتقارب بيننا.

إن هذا التفكير يكون أيضًا مرتبط بمشاعرنا وعواطفنا؛ لأن هذه العواطف والمشاعر التي تكون بين البشر ينتج عنها أيضًا أفكارنا؛ فأفكارنا هي أيضًا ترجمة لعواطفنا ومشاعرنا وأحاسيسنا إلى جانب أفعالنا وأقوالنا؛ فهذه العواطف والمشاعر تترجم إلى أفعال وأقوال يتم من خلالها بناء حياة مشتركة.

وبذلك أراد لادن أن يفتح المجال للتعايش والتواصل بين البشر؛ أراد أن تكون هناك فضاءات للفكر، مساحات مفتوحة للتعايش والتواصل والتآلف بين البشر وهذا لا ينفي أن يكون التفكير تفكيرًا منطقيًا فيفرق لنا لادن بين التفكير المنطقي والتفكير المجرد:

التفكير المجرد القائم على قواعد وحسابات مجردة بعيدة عن الواقع الفعلي أما التفكير المنطقي يكون له قواعد ومبادئ أيضًا للتفكير السليم، ولكن هذه القواعد والمبادئ تكون مرتبطة بالواقع والحياة؛ إنها قواعد ومبادئ يضعها الأفراد بأنفسهم من خلال تفاعلهم وتواصلهم المشترك؛ إنها تكون نتاج مواقفهم وخبراتهم وتجاربهم وبالتالي فإنها تكون مرتبطة كليةً بالواقع المعيش، ومعنى ذلك أن التفكير بوصفه تواصلًا اجتماعيا لا يتعارض مع القواعد أو المبادئ، ولكن هذه القواعد والمبادئ لا تكون ثابته أو جامدة، ولا يتم فرضها على البشر من خلال أوصياء ومن خلال مفكرين بعينهم يضعوا قواعد التفكير المنطقي التي يجب على الجميع الالتزام بها؛ إنها قواعد مرنة ومفتوحة وقابلة للنقد، قواعد يصل إليها الأفراد بأنفسهم من خلال تفاعلهم وتواصلهم ومشاركتهم في صنع حياتهم المشتركة معًا.

وبذلك رأينا كيف ميز لادن بين نوعين من سلطة التفكير هما: سلطة القيادة، وسلطة الاتصال، وكيف أن سلطة القيادة تعتمد في الأساس على إصدار أوامر وقوانين لا تقبل النقاش؛ أي أنها تعتمد فقط على طاعة الأوامر وتنفيذها ولا يكون فيها مجال للمناقشة أو الحوار وتبادل الأفكار والآراء، وذلك على العكس من سلطة الاتصال التي لا تقوم على القوانين والأوامر؛ وإنما تقوم على تقديم دعوات ومقترحات للأشخاص الآخرين، تعتمد على وجود علاقة متبادلة بين الاشخاص الداخلين فيها، وهذه الدعوات والمقترحات لا تتطلب الطاعة؛ وإنما تتطلب تقديم استجابات من الآخر سواء بالقبول أو الرفض أو تقديم مقترحات أخرى، ومعنى ذلك أن سلطة القيادة هي سلطة انفرادية أما سلطة الاتصال فهي سلطة جماعية تعتمد على النحن وليس على الأنا كما هو الحال في سلطة القيادة، وإن كنت اتفق معه في مضمون هذه التفرقة فإنني لا اتفق معه في استخدام كلمة سلطة فيما يتعلق بالاتصال، فإن هذا الاستخدام غير موفق إلى حد كبير؛ لان كلمة سلطة تعتمد في الأساس على وجود قواعد وقوانين أساسية تحكم علاقات الأفراد الداخلين في هذه السلطة وتتوجب الالتزام بها وعدم الخروج عليها، لذلك كان من الأفضل استخدام عبارة علاقة الاتصال بدلًا من سلطة الاتصال؛ لأن ذلك يؤكد أكثر على وجود المشاركة وعلى وجود

العلاقات المتبادلة، على تقديم استجابات على دعوات ومقترحات وليس أوامر وقوانين، وبذلك فإن كلمة سلطة لا تتناسب مع كلمة اتصال، وأن كلمة علاقة تعبر أكثر عن الاتصال وعن المشاركة، وعن انفتاح المحادثات وتبادل الأفكار وتنوع الآراء، لذلك تكون ملائمة أكثر لكلمة الاتصال وليس كلمة السلطة التي تكون ملائمة أكثر لكلمة القيادة التي لم تكن موضع قبول من قبل لادن.

ثم تطرق البحث إلى حديث لادن عن المحادثة وعن الدور الأساسي الذي تقوم به في ترسيخ دعائم التواصل؛ فقد رأى أن المحادثة العادية هي الوسيلة التي يمكن أن يتم التعويل عليها لتحقيق تواصل مشترك؛ إنها الطريقة التي يمكن أن يتم من خلالها تبادل الأفكار والتفاهمات والمشاعر والرغبات، إنها لا تسعى إلى تحقيق أهداف صارمة؛ وإنما تكون غايتها الأساسية هي تحقيق هذا التواصل المشترك، وأطلق عليها كلمة محادثة وليس كلمة حوار؛ لأن التركيز على الحوارات قد يكون ورائه هدف معين يتم التركيز عليه والسعي إلى تحقيقه من خلال إجراء الحوار، وأنه يركز على كلمة محادثة للتأكيد على أهمية وحيوية المحادثات العادية التي يتبادلها الأفراد مع بعضهم البعض، وقد ركز على المحادثات العادية وليس على المحادثات الرسمية ليخرجنا من إطار الأهداف والمصالح الفردية الضيقة، وليؤكد على أهمية التفاعل والتواصل والذي سوف يتحقق فقط من خلال هذه المحادثات العادية؛ إنها الوسيلة التي ستؤدي إلى التقارب بين البشر وإلى عودة المشاعر الإنسانية والتآلف والتراحم بينهم، هذه القيم الإنسانية التي قل وجودها في أيامنا هذه وحل محلها المصالح الأنانية الضيقة؛ فنجد أن كل فرد يسعى فقط إلى تحقيق أهدافه ومصالحه وحتى عندما يجري حوارات مع الآخرين لا يكون هدفه التواصل معهم؛ وإنما يجري هذه الحوارات من أجل تحقيق أهدافه ومصالحه، وبمجرد تحقيق الهدف أو المصلحة التي يرجوها ينتهي الحوار.

وبذلك أراد لادن أن يخرجنا من دائرة هذه الحوارات التي لا تسعى إلا إلى تحقيق الأهداف والمصالح الفردية الضيقة؛ أراد أن يؤكد على أهمية المحادثة العادية التي تكون أداة فعالة يتم من خلالها التأليف بين البشر الذي تتحقق معه كل القيم والمشاعر والمعاني

الإنسانية السامية، أراد أن يشعر البشر ببعضهم البعض، وأن تكون هناك لغة مشتركة تجمع بينهم، أراد أن يكون هناك مودة وتراحم وتآلف بين الناس، لا تكون المعاملة بينهم قائمة فقط على لغة الأهداف والمصالح، لذلك أكد على أن هذه المحادثة العادية ليس لديها أهداف محددة وذلك ليس تقليلًا من قيمة الأهداف ولكن رغبة منه في أن نخرج من هذه الدائرة التي أصبحت محور اهتمامنا.

في أيامنا هذه لم يعد هناك اهتمام بمشاعر الفرد وميوله وأحاسيسه، وإنما كل الاهتمام أصبح منصب على هذه الأهداف والمصالح الضيقة الأنانية؛ لذلك أراد أن يفسح المجال للتواصل بين البشر، أراد أن يفتح دائرة التفاعل التي فقدها البشر مرة أخرى، أراد أن يعيد لهم التواؤم والتآلف والتفاهم والتواصل من خلال الأحاديث المباشرة والتي تمكن كل فرد من التعرف على مشكلات الآخر وأزماته ومشاعره وميوله واهتماماته وأحاسيسه، وذلك من خلال التفاعل معه وإشعاره بأنه يهتم لأمره، وأنه يرغب في مساعدته والاستماع له والتواصل معه، وبذلك يشعره بأنه ليس بمفرده في هذه الحياة، وأنه لا يعيش منعزلًا وإنما معه آخرين يهتمون به ويشعرون به ويشاركونه أحاديثه، يشاركونه مشكلاته وأزماته وآلامه ومشاعره وعواطفه، وإنني اتفق مع لادن في ذلك؛ فإننا في هذه الأيام فقدنا الحديث معًا، فقدنا لغة المشاركة معًا، أصبح لكل منا عالمه الفردي المنعزل، وعلى الرغم من أننا نحيا في هذا العالم الذي يقال لنا أنه أصبح قرية صغيرة، وأن وسائل التكنولوجيا الموجودة قربت بين كل الأفراد في العالم، لكنني لا أرى أن ذلك صحيحًا؛ إننا نعيش في غربة وعزلة لم يسبق لها مثيل فيما مضى، إننا لسنا كما يقال لنا نحيا في قرية صغيرة يجمعنا الترابط والتآلف والتعايش؛ إننا أصبحنا أكثر بعدًا وأكثر غربة وأكثر وحدة وأكثر انعزلًا عن أي وقت مضى؛ لم يعد هناك الأحاديث المشتركة وتبادل أطراف الحديث التي يكون هدفها الشعور والتفاهم والتواصل والتفاعل مع بعضنا البعض؛ فإن هذه الوسائل التكنولوجية التي يتحدثون عنها والتي يزعمون وهمًا أنها تسببت في التقارب والتآلف بين البشر هي في رأيي وسائل للتباعد الاجتماعي وليس وسائل للتواصل الاجتماعي كما يتم تسميتها؛ أصبح كل فرد يتحدث مع الآخر من وراء شاشة بلا روح وبلا حياة وبلا مشاعر وبلا إحساس به

وتفهم لموقفه، فأصبحت أحاديث باردة فاترة خالية من التواصل، خالية من الألفة والتراحم والتواؤم بين البشر، ومن هنا فإنني اتفق مع لادن في أننا في حاجة إلى عودة هذه المحادثات العادية التي يتآلف ويتعايش من خلالها البشر ويشعر كلٌ منهم بالآخر ويتفهم موقفه، ويكون سندًا ومعينًا له في حياته.

لذلك كان اهتمام لادن منصب على هذه المحادثات العادية ليس رغبة منه في أن تكون أحاديثنا خالية من الأهداف؛ وإنما أراد أن تكون هذه الأحاديث مهتمة بدرجة أكبر بالقيم والمشاعر الإنسانية، وأن ذلك لا يتنافى مع تحقيق الأهداف المرجوة والتي سيتم إنجازها في غضون هذه المحادثات؛ إن كل ما أراد تأكيده هو ألا تكون أحاديثنا منصبة فقط على تحقيق الأهداف والمصالح الفردية الضيقة، لذلك أكد على أن هذه المحادثات تتسم بالاستمرارية، وذلك على العكس من المحادثات المرتبطة بالوصول إلى قرارات محددة أو تحقيق أهداف بعينها والتي تنتهي بمجرد الوصول إلى القرار أو تحقيق الهدف المرجو؛ فهذه المحادثات تنتهي لتبدأ من جديد لتؤكد على التآلف والتعايش بين البشر، أحاديث تجمعنا في كل الموضوعات لأنها تتسم بالمرونة؛ أي أنها لا تتسم بالجدية الصارمة التي تجعل أحاديثنا جافة خالية من الروح، وهذه المرونة تجعل الأحاديث شيقة وممتعة، وتجعلها تحقق المشاركة والتفاعل والتواصل بين البشر.

ومن هنا أكد لادن على أهم جوانب هذه المحادثة وأهم معاييرها: أن تكون تتسم بالإخلاص؛ أي أن يكون لدى كلٌ منا رغبة صادقة في أن يتفاعل ويتواصل مع الآخر، وأن يشعر به ويهتم لأمره، وأن يكون كلٌ منا لديه رغبة في إنجاح هذه المحادثات واستمرارها لكي تحقق القيم الإنسانية السامية والتي يكون من ابرزها الاحترام والثقة المتبادلة، وأن يكون هدفها الوئام والسلام والتفاعل والتواصل بين البشر، أراد لادن أن نتخلص من غربتنا وعزلتنا، وأن نعود إلى عالمنا المشترك، وأن يكون بيننا مساحة للتفاهم والحديث والتواصل المشترك.

وبذلك سيشعر كلٌ منا بأن له قيمته وأهميته، وأنه يتم الاستماع له جيدًا، وأن له صوت ووجود حقيقي، وأنه يتساوى مع الآخرين ويشاركهم في صنع هذا العالم الذي نحيا فيه معًا؛ فمن خلال فلسفة التواصل نعلم أن هذا العالم هو عالمنا جميعًا وأننا نشترك في رسم معالمه، أننا نشترك جميعًا في هذه الحياة ونتقاسم مسؤوليتها وأعبائها معًا دون سلطة الرئيس والمرؤوس والقائد والمقاد؛ وإنما حياة مشتركة نصنعها معًا من خلال تواصلنا وتفاعلنا المستمر.

كذلك رأينا كيف ميز لادن بين المفاوضات السياسية والمداولات السياسية من خلال تأكيده على أن السياسة لكي تكون قادرة على تحقيق تواصل فعال حقيقي يجب أن تنتقل من دائرة المفاوضات إلى دائرة المداولات؛ لأن دائرة المفاوضات تسعى إلى تحقيق تسويات وحلول وسط في نفس الوقت الذي تسعى فيه للوصول إلى قرارات واتفاقيات نهائية، ولكن كل طرف في هذه المفاوضات ينظر إلى الآخر على أنه عقبة في طريقه؛ كل طرف يرغب في الهيمنة والسيطرة والانتصار على الآخر، وغالبًا يكون مصير هذه المفاوضات الفشل؛ لأنها لا ترغب في الوصول إلى حلول حقيقية؛ وبالتالي لا ترغب في حل المشكلات والأزمات؛ وإنما هذه المفاوضات لأنها تقوم على غياب الثقة، وغياب الرغبة في التفاهم والمشاركة الحقيقية، والرغبة في إيجاد أرضية مشتركة والتي لا تتحقق إلا من خلال الرغبة الصادقة في صنع حياة مشتركة تضم البشر بداخلها في أمن وسلام واستقرار فإن هذه المفاوضات يكون مصيرها الفشل، لذلك من الأفضل لكي يكون هناك تواصل حقيقي أن تتحول السياسة من دائرة المفاوضات إلى دائرة المداولات؛ لأنه من خلال المداولات نتمكن من صنع حياة مشتركة لا يكون هناك وجود للغة الهيمنة والرؤيا الأحادية؛ وإنما تكون هناك رغبة في إيجاد أرضية مشتركة يمكن أن يقف عليها كل الأطراف لا يكون فيها منتصر ومهزوم؛ وإنما رغبة في المشاركة الحقيقية في المداولات التي لا تسعى إلى الوصول إلى اتفاقيات وقرارات نهائية؛ وإنما تكون فيها المداولات مفتوحة دائمًا للمراجعة والنقد، ومحاولة إيجاد حلول واقعية فعالة تتمكن حقًا من معالجة المشكلات والأزمات عن طريق رغبة صادقة في التخلص من كل أشكال الهيمنة

والسيطرة، ورغبة في إيجاد حياة مشتركة يمكن أن يحياها البشر معًا، بعيدًا عن الصراعات والعنف، وبعيدًا عن لغة الهيمنة والسيطرة التي تقوم عليها المفاوضات السياسية.

إن المداولات تركز على قيمة أساسية وهي قيمة المشاركة بدرجة كبيرة، كما أنها تضع كل اهتمامها في التفاعل نفسه ومحاولة إنجاحه من أجل إيجاد أرضية مشتركة وتفهم مشترك، إن القرارات والاتفاقيات التي يتم التوصل إليها من خلال المداولات تكون أكثر جدوى وتكون أكثر فاعلية؛ لأنها نابعة من رغبة صادقة حقيقية في حل النزاعات والتوصل لأرضية مشتركة تضم الجميع؛ لأن المداولات تركز على النحن وعلى القيمة الجماعية؛ إنها تريد إبراز التعددية، تعترف بالاختلافات ولا تنكرها، ترغب في أن يكون لكل مشارك صوت حقيقي، أن يكون لكل مشارك في التداول وجود وأهمية وقيمة حقيقية؛ لأن هدف المشاركين في التداول هو التفاعل الواعي المستنير من خلال إبراز نقاط التلاقي ونقاط الاتصال؛ وذلك لأنها تركز على التفاعل وليس على النتيجة أو القرار أو الهدف، إن محور اهتمام المداولات هي التفاعلات نفسها والتي يتم من خلالها إبراز قيمة التواصل المشترك، وذلك على العكس من المفاوضات التي لا يكون فيها وجود لقيمة المشاركة؛ وإنما محاولة لاستعراض القوى؛ كل طرف يحاول أن يستعلي على الطرف الآخر، وأن يفرض هيمنته على التفاوض.

إن المداولات لا تهدف إلى التوصل إلى قرارات واتفاقيات نهائية وإنما تقوم في الأساس على مداولات مفتوحة وحوارات ونقاشات مستمرة يكون نهاية كل تداول بداية جديدة للدخول في تداول آخر، وأن الأرضية المشتركة التي يجب أن تضم المتفاعلين في المداولات يجب أن تستمر وأن تتسع بلا نهاية.

ومعنى ذلك أنه في المفاوضات ينظر كل طرف إلى الأطراف الداخلة في التفاوض على أنهم عقبات في طريقه يجب أن يتم التغلب عليها، أما في المداولات فإن كل طرف ينظر إلى الأطراف الأخرى على أنهم شركاء له؛ إنهم يتفاعلون ويتواصلون

للوصول إلى تفاهمات مشتركة، وقرارات مشتركة، وتسويات حقيقية، وليست حلول وسط زائفة كالتي يتم الزعم بأنه يتم التوصل إليها في المفاوضات .

وبهذه الطريقة فقط يمكن للسياسة أن تتحول من دائرة الحروب والصراعات والعنف وتركز فقط على المشاركة والتفاعل وإبراز القيم الإنسانية، وإنني اتفق معه إلى حد كبير في ذلك؛ كل يوم يقال لنا أن هناك مفاوضات سياسية على مسالة ما ولا يتم التوصل إلى قرارات واتفاقيات نهائية بشأنها؛ إن المفاوضات تعجز عن التوصل إلى قرارات واتفاقيات نهائية أو حتى إلى تسويات وحلول وسط؛ لأنه يكون هدفها تغليب المصالح الخاصة، وفرض لغة الهيمنة والسيطرة؛ فكل طرف لا يتنازل عن أهدافه أوعن مصالحه، وبالتالي لا يتحقق معها أي قرارات أو اتفاقيات نهائية؛ وإنما يكون مصيرها الفشل دائمًا وتعود فتفشل وتتزايد حدة الصراع عن ذي قبل؛ لأن هدفها لم يكن أبدًا التوصل إلى حلول حقيقية، لم يكن من وراءها أبدًا رغبة حقيقية صادقة في حل المشكلات والأزمات؛ وإنما يتفاوض المشاركون بشكل صوري، ولا يرغبون أبدًا في حل المشكلات والأزمات؛ وإنما يرغبون في أن تتفاقم ليثبت كل طرف هيمنته وسيطرته على الأطراف الأخرى، لا يهدف المشاركون في المفاوضات إلى تغليب الروح الإنسانية وتغليب القيم الإنسانية من مودة ورحمة وتعاطف وتآزر بين البشر، ورعاية واهتمام للضعفاء من قبل الاقوياء، ورغبة صادقة في مساعدتهم وحل مشكلاتهم وأزماتهم؛ وإنما يكون هؤلاء الأقوياء المشاركين في المفاوضات هم السبب الرئيسي وراء تفاقم المشكلات والأزمات الموجودة في العالم كله والتي تستمر وتتفاقم بسبب فشل مفاوضاتهم التي يكون هدفها تغليب المصالح الذاتية، وتغليب روح الهيمنة والسيطرة.

لذلك لكي يكون هناك حلول سياسية فعالة يجب أن تحل كما يقول لادن المداولات السياسية محل المفاوضات السياسية؛ يجب أن تكون هناك رغبة في التواصل، رغبة في التفاعل والتعايش بين البشر وتغليب روح المشاركة للوصول إلى تفاهمات مشتركة تتمكن من الوصول إلى عالم إنساني يضم البشر بداخله بقيم إنسانية، وإن كنت أرى أن ذلك صعب تحقيقه على أرض الواقع؛ فالسياسة لا تعرف إلا لغة القوة، ولا تعرف

إلا لغة المصالح وفرض الهيمنة، ولكن ربما يأتي يومٌ نتيجة تفاقم المشكلات والأزمات وتفاقم الكوارث ترى فيه الأطراف المتصارعة التي لا تعرف إلا المفاوضات الفاشلة أن مصير الجميع مهدد وأن العالم كله مهدد بسبب إصرارهم على فرض قوتهم وعلى التركيز فقط على إبراز جوانب الهيمنة والسيطرة؛ ربما يتم تغليب الروح الإنسانية وتغليب القيم الإنسانية، والرغبة الصادقة في التواصل والتفاهم بين البشر، هنا فقط سيكون لفلسفة التواصل وجود حي حقيقي على أرض الواقع.

وإنني اتفق مع لادن على أهمية المداولات السياسية، ولكن في كثير من الأحيان يكون وجود المفاوضات السياسية مسألة ملحة؛ لأنه يكون من الضروري التوصل إلى حلول حاسمة؛ قد يحدث مستجدات خطيرة لابد من التوصل إلى قرارات مصيرية بشأنها، هناك قضايا شائكة لابد من حسمها، مشكلات وأزمات خطيرة تستوجب حلول فورية لها، فأنا معه في التأكيد على أهمية المداولات ودورها ولكن ذلك لا يمنع من أهمية وجود المفاوضات وإلا سيكون تفكيره يوتوبي خيالي بعيد كل البعد عن الواقع المليء بالمشكلات والأزمات والكوارث والقضايا الملحة التي يجب أن يتم التوصل إلى قرارات حاسمة وحلول نهائية بشأنها، إن كنت اتفهم وجهة نظره أن هذه التسويات تكون لصالح الغطرسة والهيمنة وتفضيل مصالح القوى، ومع ذلك لا يمكن استبعادها من المشهد السياسي تمامًا بسبب وجود المشكلات والأزمات والكوارث التي تحتاج إلى حلول حاسمة وإلى قرارات قد تكون مصيرية في أغلب الأحيان لا تحتمل مجرد الكلام والنقشات دون الوصول إلى أي حلول أو قرارات ملزمة بشأنها.

هنا يأتي الدور التنويري الذي تقوم به الفلسفة في التأكيد على أهمية الوعي بقيمة التواصل، والوعي بقيمة التفاهم والمشاركة؛ أراد لادن أن يؤكد لنا أن الفلسفة لا تقوم في الأساس على تحقيق أهداف محددة بعينها، وأن الفلسفة يمكن أن يكون لها وجود مثمر في ظل الأحاديث العادية؛ يمكن أن نتواصل من خلالها في التعبير عن أفكارنا؛ إنها يمكن أن تكون مرآة حية صادقة تنعكس من خلالها أفكارنا وميولنا ومشاعرنا واهتماماتنا، ويمكن من

خلالها التوصل إلى أفكار وطرق جديدة مبتكرة، ولكن هذا لا يكون من خلال قواعد صارمة أو مبادئ مجردة؛ وإنما من خلال التفاعل والتعايش بين البشر.

أراد لادن أن تنزل الفلسفة إلى أرض الواقع، وأن يكون تفكيرنا مرتبط بحياتنا المعيشية وأحاديثنا واهتماماتنا؛ أراد أن يكون الفكر ملتحمًا بالواقع التحامًا مباشرًا، وأن لا يحلق في سماء اليوتوبيات والمجردات، وأن يكون مرآة حية صادقة تعبر أصدق تعبير عن الواقع المعيش، هنا فقط ستكون الفلسفة وسيلة للتواصل وليست وسيلة للتباعد، أما إذا انتهى الأمر بالفلسفة إلى المبادئ المجردة والقواعد الصارمة فإنها هنا ستكون فلسفة للتباعد وليست فلسفة للتواصل؛ فلكي تحقق الفلسفة الهدف الأساسي وهو التواؤم بين البشر يجب أن تكون حية نابضة ملتحمة بهذا الواقع، يجب أن يكون احتكاكها بالناس احتكاكًا مباشرًا، يجب أن تتبادل معهم الأحاديث والأفكار، والمشاعر والقيم، والمواقف والتفاعلات، هنا فقط ستصبح الفلسفة وسيلة للتواصل وسيتم الاستفادة منها من خلال هذه التفاعلات المستمرة التي يكون هدفها التعايش بين البشر، وهنا لن تكون أبدًا نهاية الفلسفة وإنما ستكون البداية الحقيقية لها، بدايتها من الواقع من الناس العادية، من اهتمامات ومشاعر وميول ومشكلات وأزمات الناس في كل المواقع والتي ستكون متجددة ومستمرة، لذلك يجب أن تتسم الفلسفة بالتجديد والواقعية والانفتاح والمعايشة المستمرة، ولا تكون أبدًا منغلقة في قواعد ومعايير صلبة حاسمة جامدة؛ لأنها ستكون في هذه الحالة بعيدة كل البعد عن الناس وحياتهم ومشكلاتهم وأزماتهم، لذلك يجب أن تكون جزء لا يتجزأ من واقع الناس المتجدد المستمر على الدوام.

قائمة المصادر والمراجع

- أولًا قائمة المصادر:

1- Anthony Simon Laden, Games Philosophers Play: A Reply to Gauthier, Wiley Philosophy & Public Affairs, Vol. 22, No. 1,Winter, 1993.

2- ....., Outline of a Theory of Reasonable Deliberation, Canadian Journal of Philosophy, Vol. 30, No. 4 (Dec., 2000).

3- .....,Democratic Legitimacy And The 2000 Election, Kluwer Academic Publishers. Printed in the Netherlands, 2002.

4- ....., Negotiation, deliberation, and the claims of politics, in Multiculturalism and Political Theory, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, Cambridge, New York, 2007.

5- ..... , The trouble with prudence , Philosophical Explorations, An International Journal for the Philosophy of Mind and Action, Vol. 12, No.1, March 2009.

6- ..... , The Key to/of Public Philosophy , Political Theory , Vol. 39, No. 1 February, 2011.

7-....., Republican Moments in Political Liberalism, Revue International de Philosophie, Vol. 60, No.237 September 2006.

8-..... ,reasoning a social picture ,oxford university press,2012.

ثانيًا قائمة المراجع:

1- المراجع الاجنبية:

1- Blain Everett Neufeld, Civic Respect And Political Plural Subjects, The University Of Michigan, 2002.

2- Erin Kelly, Justice As Fairness, A Restatement, John Rawls, The Belknap Press Of Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, London, 2000.

3-Harwell Wells, The Philosophical Michael Oakeshott, University of Pennsylvania Press Stable, Journal of the History of Ideas, Vol. 55, No. 1, 1994.

4- James tully ,public philosophy in new key , vol.1:democracy and civic freedom ,Cambridge university press ,2008.

5- John Rawls, Political Liberalism, Columbia University, New York, Press, 1996.

6- Michael Oakeshott, Political Education In Rationalism In Politics And Other Easy, London: Methuen And Co ltd , 1962.

7- ……., The Voice Of Conversation In The Education Of Mankind In What Is History ? And Other Essays, London: Imprint Academic, 2004.

8- Paul Franco, Michael Oakeshott, An Introduction, New Haven: Yale University, 2004.

9- Sheldon S. Wolin, politics and vision: Continuity and Innovation in Western Political Thought , Princeton university press Princeton and oxford, 2004.

2- المراجع المترجمة الى العربية:

1- أبو النور حمدي أبو النور , يورجين هابر ماس \ الأخلاق والتواصل , التنوير للطباعة والنشر , بيروت, 2012

2- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية؟، ترجمة: عبد الرحيم حزل، الدار البيضاء (المغرب)، إفريقيا الشرق، 2012، ص 166.

3- آلان تورين، نقد الحداثة، ترجمة: أنور مغيث، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 1997، ص 30.، ص 30، 31.

4- برتراند راسل، أسس لإعادة البناء الاجتماعي، ترجمة : ابراهيم يوسف النجار، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،1987.

5- حنة أرندت، في العنف، ترجمة : ابراهيم العريس، بيروت، دار الساقى، 1992.

6- ستيفن ديلو، التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني، ترجمة: ربيع وهبة، مراجعة: علا أبو اليزيد، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2003.

7- ف . أ . هايك، الطريق إلى العبودية، ترجمة: محمد مصطفى غنيم، القاهرة، دار الشروق، 1994.

8- محمود فهمي زيدان , في فلسفة اللغة , دار النهضة العربية للطباعة والنشر , بيروت 1985,